

ضحايا مصر في السودان وخصايا السياسة الانجليزية

للباحث المطلع

محزونه

« مذبذب »

بمذكرة المرحوم محمد أبي القنوح إشا عضو
الوفد الرسمى التى قدمها فى مفاوضات المرحوم
عبدى بكى باشا سنة ١٩٢١ م عن السودان
المصرى .

طبع على نفقة دائرة

مفكرة صاحب السمو الامير محمد طوسون

الطبعة الثالثة

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

مطبعة السفير باسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء الكتاب

أهدى كتابي هذا الى حضرة مولاي صاحب السمو الامير
الجليل المحبوب عمر طوسون عين الأمة المصرية وانسانها وقلبها
ولسانها وحفيد محبي مصر ومنشئ السودان وأسمى من قدر السودان
قدره وأجل من أشاد بذكره واعظم من نادى بوجوب رده الى
حظيرة الوطن الاكبر

والى أرواح أولئك الشهداء الابرار الذين رووا أرض السودان
بدمائهم الزكية تقانياً في الابقاء على العلاقات التاريخية والصلات
الابدية التي تربط مصر به من مبدأ الزمان وكتبوا بذلك أخلد صفحة
في سجل أشرف تضحية (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

المؤلف

السودان

النيل نيلنا والسودان بلادنا
فتمالوا الى كلمة سواء بيننا



تمهيد

السودان روح مصر وحياتها — إن تركته لا يتركها وإن
تركها لا تركه — مافي هذا أقل شك ولا أدنى ريب فليعلم من
لا يعلم أن كل حل للمسألة المصرية من شأنه أن يفصل السودان
عن مصر إنما هو حل فاشل مقضى عليه بالخيبة الدائمة والنحس
المستمر . وسوف تظل مصر ساخطة غاضبة ما لم يبق السودان
جزءاً منها لا يتجزأ . وإنه خير للمصريين السمر والمصريين البيض
أن يرسفامما الى الابد في أغلال الاستعباد من أن يبت في مصير
كل منهما على حدة.

وبعد فقد آن للانكليز ولبن يود من أبناء هذا الوطن التعس
لويجارهم في اعتبار أن مصر شيء والسودان شيء آخر . أن يرجعوا
الى التاريخ القديم حتى يتبين لهم أنه لم يكن ثمت في العالم ما يدعى
بالامبراطورية البريطانية بل بريطانيا الصغرى أيام أن فتح فراعنة
الانسة السادسة القديمة بلاد السودان منذ أكثر من أربعة آلاف

الباقية من الجيش العراقي ؟ ألم تضح بغوردون تنفيذاً لسياسة اجلاء
المصريين عن السودان ؟ ألم تنتهز فرصة مقتل السردار اثلثتهم السودان
وتبتره بتراً من جسم الوطن الاكبر ؟

هاهي ضحايانا وضحاياكم من وقت قيام الثورة المهدية حتى مقتل
التعاشي - أعني من ١٢ أغسطس سنة ١٨٨١ الى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ - قد
توخيت البقة المتناهية في احصائها كيلا اتهم بالتحيز والتحامل ولم
أقدم على اعلانها إلا بعد أن راجعت كل ما وقع بيدي من الكتب
والستندات التاريخية وأنا بالسودان أولاً وبمصر أخيراً مثنى وثلاث .
وقارنت بين ماورد فيها وما دوته بذكراتي من أقوال المعاصرين
من شهود الرؤية من مواطنينا هنا وهناك الذين اشتركوا في معظم
الوقائع . ثم قابلت بين هذا كله وما جاء بمؤلف نعوم بك شقير وهو
خلاصة وافية لما كتب مختلفو المؤرخين عن السودان . وقد اشتهر صاحبه
بأنه من أكثر الباحثين اعتسداً وأقلهم جميعاً اسرافاً في تقدير عدد
الضحايا فضلاً عن كونه قد شاهد بعينه أغلب وقائع الفتح . واستشهدت
بأقوال كل من سلاطين باشا في وقائع دارفور وإبراهيم فوزى باشا في
وقائع الخرطوم لانهما حضرا تلك الوقائع بنفسيهما .

وخشي الآن أن أدع للأرقام الكلام :

ضحايانا وضحاياهم

من الازواح

الوقائع الأولى

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|--------------------------------------------------------|---------------|-----------|-------------------|------------|
| قتل في هذه الوقعة ١٠٠٠ من الثوار وملكهم. | | ٤٠٠ | ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ | واقعة آبا |
| قتل حلاوة على رجال الجيش ٢٠٠٠ من الاعراب اللواتي لمصر. | | ٣٠٠ | ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ | و زاشندريك |
| | | ٤٠٠٠ | ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ | و الشلال |
| | | ٥٠٠٠ | | |
| | | | الحج | وقائع |

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|--------------------------|------------------------------------------------------|
| | | ١٠٠٠ | ١ أبريل - يونيه سنة ١٨٨٢ | وقائع ابن المكاشف. والفريخ احمد طه. ومحمد زين. وتيقو |
| | | ٢٠٠٠ | يوليه | واقعة الجبلين |
| | | ١٠٠٠ | اغسطس - ديسمبر | وقائع شات. والدويم. وام سنيطة وحلة حجاج |
| | | ٥٠٠ | يناير - مارس ١٨٨٣ | وقائع معنوق. والداعى. وسقدمويه والتبته |
| | | ٤٥٠٠ | | |

وقائع حركات

| الوقائع | التاريخ | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|--------------------------------------------------|------------------------|-----------|---------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| وقائع البركة. وبارا. والعليةارة والأيض الأولى | مايو - سبتمبر سنة ١٨٨٢ | ٣٠٠٠ | | ذبح في الجيزة نحو ١٠٠٠٠ ناس مصريين ذبحت إصاقيهم. |
| واقعة على بك لطن أبو كوكلة | سبتمبر | ٢٠٠٠ | | حدثت الموقعة في حارة صكرو ده جفون. |
| حصار بارا وسقوطها | ٥ يناير سنة ١٨٨٢ | ١٠٠٠ | | { جمع من الإناث ٣ مليون و٢٠٠ ألف جبهة ودية آلاف أوقية ذهب عام. وخسة قناطر حل. و ٤٠٠ قنطر فضة. وقفل وبيع نحو ١٠٠٠٠٠ قنر وقناطر. |
| واقعة المراجع | ١٩ يناير | ٣٠٠٠ | | |
| واقعة المراجع | أبريل | ٣٠٠ | | |
| مكس | ٥ نوفمبر | ١٠٠٠٠ | ١ | وقائع موقعة شيسان. |
| | | ١٩٣٠٠ | ١ | |

وقائع دارق ور

| ملاحظات | خسائر انجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|-----------|------------------------|-------------------------------------------------------------|
| قتل في هذه الوقائع ٧٠٠٠ من الاعراب الموالين للحكومة. وعذب المصريون والمصريك أعد الغلاب. | | ٣٠٠٠ | يولييه ١٨٨٢ يناير ١٨٨٤ | ثورة الشيخ الماديو . وحصار دارق وكبيكه . والفاشر وسقوطها |

وقائع بحر النفر زوال

| ملاحظات | خسائر انجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------------------------------------------------|---------------|-----------|-------------|--------------------------------------|
| أسرى بون بك مدير بحر النفرال ومات حقت انه بالاسر. | ١ | ٥٠٠ | ١٨٨٢ — ١٨٨٤ | وقائع الجاهلي والشيخ ياتكو وبحر بيرى |

وقائع سنر

| ملاحظات | خسائر انجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|-------------|---------------------------------------------------------------------|
| | | ١٠٠٠ | ١٨٨٣ — ١٨٨٤ | وقائع الشريف انحصو وقامكو وودمدنى وفداسى وابى الحسنى والشيخ غالب |

١٩ -
- ١٢ -

قائمة طوك و سواكن وسنكات

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|-----------|-----------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>القامقام إبراهيم لمسي السوارى قال انه كان حاكم السكة في واقعة التيب الثاني وعرف من مخازى الاجاز حيث بلغ من وجود المدون بقرى التيب فلم يستع له بالاج حيث كان يسكن القاد. الى ان وقع جازيش الكمان السوارى في كين السدو. عندئذ فقط وقع الجيش المصرى في المدينة التي يرضها الاجاز. لم اسند على عدد القتل من الجيش المصرى في هذه الوقائع وسع انه لا يوجد ذلك في حكمه انصاف ماقتل من الانكليز كما من السادة فقه خربت حضا عن تقديره</p> | ١٨٩ | ١٥٠٠ | ١٨٨٣ - ديسمبر - أغسطس | وقائع سنكات . وقاب . وابنت . والتيب الاولى . وطاي الاولى واقعة التيب الثانية حصار سنكات وسقوطها طوك |
| | ٢٢٠ | ٣٠٠٠ | ١٨٨٤ فبراير | واقعة التيب الثالثة طاي الثانية تل هشيم |
| | ٤٨ | ٦٠٠ | " | " |
| | ٢٤٩ | ٥٠٠ | " | " |
| | ٧٥٣ | ٥٩٠٠ | " | " |

وفاء السودان الشرقي

| ملاحظات | خسائر انجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|-------------------------------------------|---------------|-----------|---------------------|----------------------------|
| قتل في هذه الوقائع وسواها تلك الجهات نحو | | ٥٠٠ | نوفمبر وديسمبر ١٨٨٣ | وقائع مريود . وقدي . وزرقه |
| الضربة آلاف من رجال القبائل السوالين لمصر | | ٥٠٠ | ١٨٨٤ | الجلام . والعشرة . وسدينة |
| وغيرهم من شيمة السادة الرغنية. | | ١٠٠٠ | يناير ١٨٨٥ | واقعة قسلوسيت |
| | | ٢٠٠٠ | | |

وفاء

| ملاحظات | خسائر انجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|-------------|-------------|
| | | ٢٠٠٠ | ١٨٨٩ — ١٨٨١ | خط الاستواء |

—١٢٨—

مجمع بربر وقفاً

| الوقفاً مع | التاريخ | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|---------------------|---------------|-----------|---------------|------------------------------------------------------------------------------------|
| مجمع بربر وسقو طمسا | مايو سنة ١٨٨٤ | ١٥٠٠ | | وجد التوار بالجزء ٥٥٨١٢ جنبها كانت مرسلة المص و ٨٠٠٠ كانت حصلة ٠ دفع ٣٠٠٠ مصرى. |

وقفاً مع دقة

| الوقفاً مع | التاريخ | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|--------------|-----------------|-----------|---------------|---------|
| وقفاً مع دقة | سبتمبر سنة ١٨٨٤ | ٤٠٠ | | |

وقائع حصار الخراط

| ملاحظات | خسائر التجار | حصار مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|--------------|----------|---------------|-----------------------------------------------------------|
| | | ٣٥٠٠ | مارس سنة ١٨٨٤ | وقائع الحفاية الاولى . والشرق والحفاية الثانية |
| | | ٢٥٠٠ | يوليه واغسطس | وقائع القطية . والكلاكة . وبري والجريف . والحفاية الثالثة |
| | | ٨٠٠٠ | سبتمبر | وقائع أبو حراز . والعلفون . وأم ضبان |
| | ٢ | ٢٠ | » | بعثة استيوارت |
| | | ٣٠٠ | ١٨٨٥ يناير | حصار أم درمان وسقوطها |
| | ١ | ٨٠٠٠ | » يناير | سقوط الخراطوم |
| | ٣ | ٢٢٢٢٠ | | |

السكرانين استيوارت والشرق إاور قنصل التجار بالخراطوم .

أحصى من الغنائم ٣٠٠ ألف جنيه . و ٣٠٠ ألف ريال
(٣٠٠ قنصل حلي . و ٤٠٠ قنصل فاف . وسيت ٣٥٠٠٠
قناة ، وقتل ٢٤٠٠٠ مصري من السكان .

مردون إلى ذ إلى الله ح

| الوقت | السايرين | خاير مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|-------------------------------|-------------------------------|----------|---------------|------------------------------------------------------------------------------------|
| وقائع أبو طليح والتمه وكر كان | ١٧ يناير - ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ | | ٣٤٩ | لم تذكر خسائر مصر مع أن الجلود المرمية حلت إلى المراتح فوق الشلالات ثلاثة أميال |

ملا ح

| الوقت | السايرين | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|-------------------|--------------------|-----------|---------------|----------------------------------------------------------|
| حصار كسلا وسقوطها | ٢٩ يولييه سنة ١٨٨٥ | ٤٥٠٠ | | انظر كتابك قائدهما شجاعه عند اعدائه بأسر قتال وجبه ظاهرا |

ملا ح

| الوقت | السايرين | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|-------------------|-------------------|-----------|---------------|--------------------------------------------------------------------|
| حصار سنار وسقوطها | ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٥ | ٥٠٠٠ | | مردو جميع الذهب الذي وجد لدى الاحمال وكافوا بأنقى أهل السودان . |

وقائع الحوادث

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|-------------|---------------|
| | | ١٥٠٠ | ١٨٨٥ — ١٨٩١ | وقائع الحدود. |

استرجاع طوكيو

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|-------------|----------------------|
| | | ٢٠٠ | ١٨٨٨ — ١٨٩١ | واقعا هندوب والجزيرة |

تجربة دقة

| ملاحظات | خسائر إنجلترا | خسائر مصر | التاريخ | الوقائع |
|---------|---------------|-----------|--------------|-----------------|
| | | ٢٥٠ | ١٨٩٦ - أبريل | وقائع تجريد دقة |

وبناء على الكور

| الوقت | التاريخ | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|---------------|--------------------------|-----------|---------------|---------|
| وباء الكوليرا | ١٥ يونيو - ٢٠ أغسطس ١٨٩٢ | ١٦٠ | ١٩ | |

ير

ج. الفتح الإخ

وقال

| الوقت | التاريخ | خسائر مصر | خسائر إنجلترا | ملاحظات |
|------------------------|---------------------|-----------|---------------|---------------------|
| واقعة أبو حجد | أغسطس سنة ١٨٩٧ | ٨٦ | | |
| د عطبرة | أبريل ١٨٩٨ | ٤٣٣ | ١١٧ | |
| د أم درمان | ٢ سبتمبر ١٨٩٨ | ٣٣٠ | ١٩٠ | |
| د الرصيرص | ٢٦ ديسمبر ١٨٩٨ | ١٤٦ | | |
| واقعة أبو عادل والجديد | ٢٣ و ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ | ٢٦ | | |
| القنارف | ١٨٩٨ | | | |
| حصار القنارف | | ١٠٢١ | ٢٧٧ | لا مداه حربية وميك. |

فجيلة الضحايا من الجيش المصرى ٨٠٠٠٠ قريبا (٧٩٧٥١) مقابل
١٤٠٠ من الجيش الانكليزى .

ولرب معترض يقول : وهل كانت لمصر كل تلك الجنود بالسودان ؟
ودفعاً لهذا الاعتراض أذكر فيما يلى بيان الجيش الذى كانت مرابطاً
بالسودان قبيل الثورة : —

| | | |
|-------|--------------|------|
| ١٩٥٠ | ضابطا وجنديا | بدقة |
| ٢١٧٠ | » | » |
| ٧٤٧٠ | » | » |
| ٢٣٥٠ | » | » |
| ١٦١٠ | » | » |
| ٨٠٠ | » | » |
| ٢٠٠ | » | » |
| ٣٩٤٠ | » | » |
| ٩٢٠ | » | » |
| ١٩٠٠ | » | » |
| ٣٤٧٠ | » | » |
| ٥٨٣٠ | » | » |
| ٤٨٦٣ | » | » |
| ٨٨٦ | » | » |
| ٢,١٣١ | » | » |
| ٤٠٤٩٠ | الجملة | |

فلما تولى أمر السودان المرحوم عبدالقادر باشا حامي ووجد الضعف سائداً على حاميات الخرطوم وسنار وكردقان استقدم بضعة طواير من الجنود الرابطة على حدود الحبشة وعزز بها تلك الحاميات . ولما تحقق لديه أنها لا تكفي حرض المصريين المقيمين بالسودان على التطوع وجند رقيقهم تعزيزاً للجيش المدافع وبأساً من امداد مصر التي كانت في معمرات النورة العرايية يومئذ وتولى بنفسه تدريب متطوعي الخرطوم . ولما جاء غوردون أمر بالتطوع فتطوع في بضعة أيام ٣٢ (أورديا) بكل ما أوردى عدد يتراوح بين المائة والثلاثمائة جندي . وقبيل سقوط الخرطوم ساق كل قادر على حمل السلاح من سكانها الى خط النار . وكان بالسودان حوالي ٣٠٠٠٠ موظف مدني تطوعوا كلهم للقتال ولم يعد منهم إلى مصر إلا أفراد .

وحالما شرع في التمهيد لنكبة هكس سيق الى السودان من قلوب الجيش العراي :-

| | | | |
|-------|--------------------------------------------------|------------|---------|
| الأول | الامير الای سلیم بك عوفی | وعدد رجاله | ٢٤٠٠ |
| » | الثاني بقيادة الامير الای السيد بك عبدالرازق | » | » ٢٥٠٠ |
| » | الثالث بقيادة اللواء ابراهيم باشا حيدر | » | » ٢٦٠٠ |
| » | الرابع بقيادة الامير الای رجب بك صديق | » | » ٣٠٠٠ |
| » | الطوبجية والسوارى بقيادة الامير الای عباس بك وهي | » | » ٢٤٠٠ |
| » | والجمل | » | » ١٣٩٠٠ |

ولما حدثت النكبة وأسقط في يد الحكومة ورؤى أن الجيش

الجديد الذى تألف بعد حل الجيش العسراى وعدد رجاله لاىجاوز الستة آلاف لم يتم تدريبه ولا استطاع الاستغناء عنه وكانت السياسة الانكليزية مصممة على ارسال حملة يىكر بحجة إقاز حاميتى سنكات وطوكر، جمع من الرديف :-

٦٥٠ جنديا من الاسكندرية

٥٠٠ » » القاهرة

٤٥٠ » » عساكر مصوع

٤٢١ » » عساكر سنهيت

٤٢٩ » » الاتراك الباشبوزق

٦٢٨ » » عساكر الزير باشا

١٢٨ » » الطوبجية

٣٠٠ » » الفرسان المصريين

١٥٠ » » الفرسان الباشبوزق

والجملـة ٣٦٥٦

وكان مع هذه القوة القائد ابراهيم بك فهمى السوارى وىروى بأنه كان قائد الكشافة وعند ما نظر العدو أرسل الخبر فلم يستمع منه حتى قبض العدو على المقدمة وعندما تمت النكبة بجميع القوة مات خمسة أسداسهم فى أول موقعة

الضحايا من غير العسكرين

هذا وقد أجمع المؤرخون والمعاصرون على أن عدد الضحايا من المصريين المدنيين الذين لم يشتركوا في الحروب فاق كل حصر . ونحن تقدم بما لا يقل عن ربع مليون شخص . وتدل فيما يلي بالأدلة التاريخية والحوادث الواقعية التي تؤيد هذا التقدير :-

أولا

كانت مدينة الطيارة أكبر مركز لتجارة الصمغ وريش النعام وسواهما من محصولات كردفان . وكان بها زهاء العشرة آلاف تاجر وعامل جلهم من المصريين فذبجوا على بكرة أيهم حيث اعتزم الفقيه المنة - زعيم قبائل الجمع والجوامعة وأخطر النوار في صحراء كردفان - أن يقضى على جميع الذكور حتى الاجنة في بطون أمهاتها خشية أن تكون ذكورا . وقد بقرت بطون نحو ألف سيدة حبلى لهذه الغاية الوحشية . وكلت قومه يقذفون بالاطفال في الجو ويتلقونهم على أسنة الرماح - الامر الذي استنكره المهدي نفسه

ثانياً

كان عدد سكان مدينة الأبيض حاضرة كردفان يربو على الخمسين ألفاً أغلبهم من المصريين . فلما سقطت المدينة لم يبق من هؤلاء سوى بضعة آلاف حيث قضى الجوع على أغلبهم أثناء الحصار إذ بلغت أسعار الحاجيات

أقصى ما يتصوره العقل . فكانت الاقة من لحم الحميم تباع بمائتي ريال .
وأكل الكثيرون بعضهم بعضاً فضلاً عما أتوا أثناء التعذيب للدلالة
على ما خبثوه من أموالهم ، وسببت جميع الفتيات فانتحر بعضهن
والكثيرون من أوليائهن .

ثالثاً

كان محمد بك خالد زقل ابن عم المهدي وكيلاً ثم مديراً لمديرية
دارة بدارفور . فلما أمره ابن عمه على جميع الاقليم انتقم شر انتقام
من زملائه ومروسيه المصريين ونكل بهم أشد تنكيل لدرجة حملت
ضابطين من زملائه على تفضيل الاتجار السريع على الموت البطيء
الذي كان يلاقيه اخوانهم ومواطنوهم . وحكاية الصاغ حماده افندي
ما زال مضرب الأمثال في السودان حتى اليوم . فقد ضرب ثلاثة آلاف
سوط في ثلاثة أيام متوالية بمعدل ألف سوط في اليوم . وكانت عملاً
جروحه بالملح والفلقل امعاناً في تعذيبه كي يدل على أمواله المخبوءة ،
ولكنه مات دون أن يفعل مصراً على أن المال ماله ، وأنه ورثه عن أبيه .
وأن المهدي ما كان أخاً له حتى ينازعه تراثه

رابعاً

ذبح الثوار جميع التجار المصريين في كل أنحاء السودان مع وكلائهم
وعمالهم وذلك لسلب بضائعهم .

خامساً

ذبح كافة المصريين الذين كانوا يقيمون بمديرية بربر . ومن

عجب أن محمد الخير زعيم الثوار في تلك المديرية أمر بعدم التعرض للنساء
كان تأييمهن وتقيمهن دون هتك أعراضهن . وقد شكر له المؤرخون
هذا الضنيع باعتبار أن بعض الشر أهون من بعض .

سادسا

قتل من سكان الخرطوم في يوم سقوطها ٢٤٠٠٠ رجل وبضع
نساء . وفي رواية شقية بك ٣٦٠٠٠ (وهذا العدد أقرب الى الصحة لأنه
ذكر من ضمنه الجيش المدافع الذي قدرنا نحن ضحاياه يومئذ بثمانية
آلاف فقط) . وسييت ٣٥٠٠٠ فتاة وسيدة من كرائم وعقائل
المصريين . ولقد تحدثت الى الكثيرات من بقاياهن فأسمعتني من
أبناء ما ارتكب معهن من القذائف والنكرات ما يفري الكبد ويهد
المضد .

سابعا

كان سكان حامية كسلا بعائلاتهم وأولادهم قبيل حصارها يزيدون
على الحسين ألفا أكثرهم من المصريين فكانت البقية الباقية من الجميع
يوم سقوطها ٤٨٠٠ شخص .

ثامنا

كانت مدينة سنار أحفل مدن السودان بالمصريين بعد الخرطوم
فبلغ عددهم يوم سقوطها ثلاثة آلاف لا غير .
وهكذا كان الشأن في باقي الجهات

واقعد وقع الينا الدليل الذي لا ينقض ، ووقفنا على عظم الكارثة التي
أودت بحياة أولئك الأبرياء وفداحة الخطب الذي ألم بمصر بفقدهم وفقد
السودان معهم .

ذكر الرحوم فوزى باشا في كتابه أن غوردون عميل
إحصاء رسمياً للمصريين المقيمين بالخرطوم قبيل سقوطها (وأنا أرجح
أن التدمير إنما كان لجميع المصريين المقيمين بالسودان لا بالخرطوم
وحدها) . فبلغوا مائتي ألف نس . وأرسل تلك الإحصائية مع بعثة
استيوارت في سبتمبر سنة ١٨٨٤ . فلما سقطت الخرطوم ومات المهدي
أسر التغايشي ذات يوم أن يجتمع المصريون في صعيد واحد .
وكان يسميهم (فضلة سيف المهدي) . فاجتمعوا وبلغ عددهم يومئذ خمسة
آلاف من الرجال .

وفي اعتقادي أنه كان المجاعة المروعة التي حدثت في عهد الخليفة
(١٨٨٨ - ١٨٨٩) أثر يذكر في القضاء عليهم . فقد قتلت
بمئات الآلاف من أهالي السودان أنفسهم ولا ريب أنها كانت بالمصريين
أفك وأفدح .

ومن هذا يتضح للملأ أنه ليست هناك أدنى مبالغة في تقدير
الضحايا بربع مليون . على أننا لو تساهلنا إلى أبعد حدود التساهل
واقترضنا أن هذا العدد يشمل الجيش المقاتل ، لكانت النتيجة أن
خسارة مصر ربع مليون مقابل ١٤٠٠ إنكليزي - أستغفر الله - فإن
نصف هؤلاء أو أكثر كان من الهنود . فقد كانت جنود حملة الجنرال
جرام بسوا كن كلهم من أولئك الهنود التتساء .

وذلك غير من قتل من جيشنا في المدة من أول سنة ١٩٠٠ الى آخر سنة ١٩٢٤ في الفتن والقتال الداخلية التي أربت على المائة والعشرين في عصر العدالة الانكليزية وبسببها - وكان بعضها حروبا طاحنة لاحتركات صغيرة - وما العهد بمذبحة (ود حيوية) بالكاملين على النيل الازرق، وموقعة الكتفية المشهورة في سنة ١٩٠٨ ولا بثورة النوير والانواك في سنة ١٩١٢ يعيد .

ولعل أوفق قريبا لاحصاء خسائرتنا وخسائرهم في هذا العهد انما للبحث .

رجالنا ورجالهم

ولربما زعم الانكليز كماداتهم - أنهم يمتازون بفقد خمسة أوستة من أعلام رجالهم وكبار قوادم أمنال هكس باشا والكولونيل استيوارت وغوردون باشا ولبتون بك (ولو أن هؤلاء كانوا في الواقع موظفين بالحكومة المصرية) والجنرالين اول واستيوارت .

ورداً على هذا أذكر هنا أسماء حوالى مائتى شخص من أعلام رجالنا وكبار قوادنا (من رتبة بكباشى فافوق) غير من لم أعثر على أسمائهم ممن استشهدوا أثناء الثورة . وأما ضحايا تعمير السودان من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٢٤ فاتها أقطع من الحرب حيث الوحدات المصرية ذهبت من الحيات وغيرها : -

| اللقبة | | | | | |
|-------------------|--------------------|----------------|-------------------|--------------------|------|
| موظف كبير | بكباشي | تجسق | قائمقام | أمير ألاي | لواء |
| محمد باشا حسن | | بك | سلطان عبد الله بك | | |
| مأمور المالية | ابراهيم سودان اندي | علي | محمد الملك بك | | |
| عصمت بك | منصور عبد العال | ميتو | عنان حشمت | | |
| مدير التفراقات | محمد عنان | عبد الهادي | فرج صالح | | |
| ابراهيم بك رشدي | | محمد كرسى | السيد امين | | |
| سكرتير غوردون | احمد حامية | محمد قرصيه | سرور بهجت | محمد علي حسين باشا | |
| قوي اقص بك القصص | محمد دسوقي | محمد السنيق | يوسف عفت | موسى شوقي باشا | |
| باشكاتب الخرطوم | حسين محمد | | حسين القباني | فرج الزيني باشا | |
| محمد ابراهيم بك | علي صقصر | نفسر | احمد ابو القاسم | محمد التقباني بك | |
| الشيخ محمد حنك | سليمان النشار | بشير خشم الموس | عبد الله العبد | | |
| قاضي القضاة | حسن فؤاد | محمد نغان | عبد القادر حسن | | |
| الشيخ شاكر الرئيس | | | حسن العقاد | | |
| مفتي السودان | | | | | |

وقائس
حصار الخرطوم
وام درمان
وسقوطها

| الوقت | | | | | | الوقائع |
|-------|-----------|--------------------------------------------------------------------------|-------|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| لواء | أمير الأي | قائمقام | سبعوق | بكتباشي | موظف كبير | |
| | | مصطفى عصمت بك محمد اسلام » أبراهيم لطيف » أحمد عبد الوهاب | | | الشيخ عبد موسى مفتي المحاكم الشرعية الشيخ عبد السلام عبد القراء الشيخ حسين المجدي رئيس المآذنة والمسرة الأميرية السيد فائد شيخ السجادة الاحدية أحمد بك جلاب مدير الخرطوم | تابع حصار الخرطوم وأم درمان وسقوطها |
| | | | | | أحمد شوقي بك ساون الدرية | سقوط كلا |

| الفتح | | | | | | |
|-------------------------------|-------------------------------------------------------------------------|------|------------------------------|-------------|----------------------------------|---------------------|
| موظف كبير | بشكباشى | سنجق | قامقام | أمور لاي | لواء | الوقائع |
| احمد مصكوار بك وكيل الدرية | | | حسن عثمان الكريلى بك | | حسن صادق باشا | سقوط سنار |
| | مرحان افندى عبد الوهاب طلعت علي جبور افندى » » سالم خلاف | | حامد محمد بك فضل المولى » | سليم مطر بك | | سقوط خط الاستواء |
| | | | | | صالح الملك باشا فرج الله باشا | في الأسر |

تلكم أسماء من ذكروا في الكتب والوثائق التاريخية ومعظمهم من كبار القواد وأعظم الرجال كما أسلفت . ومن المؤكد أن هناك عشرات من رتبهم لم تذكر أسماءهم وأسدل عليهم الزمان ستار النسيان وذلكم غير المئات بل الآلاف من صغار الضباط وعظماهم (من رتبة صاغقوول أغاسى فانتحتها) فقد فقد من هؤلاء في واقعتي شيكان والتيب نحو الخمسمائة ضابط بفضل ارشاد وحسن قيادة الجنرالين هيكس ويكر .

فلو فرضنا أن جملة من فقد من الضباط العظام — من رتبة صاغ فصاعداً — مائتان فقط لكان مجموع ما فقدته انكثرا بالنسبة لمصر :-

١ ½ في المائة من الجنود

٣ في المائة من القواد

صفر في المائة من الاهالى

وبهذه النسب الحق—يرة يرفع الانكايز عقيرتهم مطالبين (بحق الفتح) ولا ريب عندى أن مجرد المقارنة — إن كانت تمت الى مقارنة من سبيل — يقضى قضاء أبديا على ذلك الادعاء الجريء الذى لم يذكر له التاريخ مثيلا .

ضح ايانا وضح اياهم من الاموال

أما فيما يتعلق بالاموال فلا سبيل الى المقارنة . فانكثرا لم تخسر شيئاً في حين أن مصر قد خسرت كل شيء . — وبهـذا يعترف الانكليز أنفسهم . — ومع ذلك فلنعالج الموضوع .

لا يمكن بطبيعة الحال احصاء ما أنفقت مصر من مال في سبيل تعمير السودان وتعمدينه من عهد محمد علي حتى قيام الثورة المهدية . وانما يستطاع أن يقال اجمالاً إنها أقامت جميع المنشآت من مبان نفحة الى معسكرات ومصالح أميرية وجوامع ومدارس (ونذكر هنا أنها لم تضن على السودان بأ كبر علمائها فبعثت برفاعة بك ناظراً لمدرسة الخرطوم) وساعدت الاهالي على بناء دورهم بالطوب والاختشاب بدل اتخاذها من اللبن والغاب وجلود الحيوان . ومهدت الطرق الصحراوية ونظمت البريد ، وأدخلت زراعة القطن ، وأنشأت المطبعة الاميرية ، وفتحت السدود النيلية لتسهيل الملاحة صعوداً في أعلى النيل . وفتحت الاصقاع النائية في بحر الغزال ودارفور ومنجلا وأوغندا وبلاد زنجبار وكفتها شر النخاسة وفضائع النخاسين ، ومدت أول سكة حديدية عرفها السودان فبلغت تكاليف خمسين ميلاً منها ٤٥٠ ألف جنيه دفعتها مصر عن طيب خاطر في عهد أشد ضائقة مالية عرفتها ، وأنشأت ترسانة كبرى لصنع البواخر والمراكب وتصليحها وقد بنيت فيها وابورات (بوردين وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والقناطر والاسماعيلية)

وعباس وشبين والمسلمية والحسينية ونيانزا ومحمد على والوزير والسلطان
والخديوى (وسواها ، وقد غرق منها ما غرق واستولى الثوار على
الباقى . أما وابور القاهرة فقد بنى فى عهد الثورة .

وقصارى القول أن مصر خلقت السودان خلقاً جديداً من
جميع النواحي .

وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن نفقات السودان كانت تروبو على إيراداته
طوال عهد الحكم المصرى وأنه كان يحتاج فى أغلب السنين الى مبلغ
يتراوح بين المليون والثلاثة لتغطية العجز - الامر الذى فكر من أجله
المغفور له سعيد باشا فى ترك السودان لولا توسل أهله وإلحاحهم -
والذى ساقته انجلترا كأقوى حجة لتغلى مصر عن السودان .

فاذا فرضنا أنه كان يحتاج فى المتوسط الى مليون جنيه سنوياً
لكانت جملة ما أتفق على تعميمه من عهد محمد على حتى قيام الثورة المهدية
أكثر من ستين مليوناً من الجنيهات .

ولنتظر الآن الى ما خسرت مصر فى ابان الثورة وبعدها :-

(١) - خسر جميع المصريين الذين كانوا بالسودان دون استثناء
كافة أموالهم وأمتعتهم وأملاكهم وعقاراتهم وكان أكثرهم أغنياء - فلا
تقدر خسارتهم بأقل من عشرة ملايين من الجنيهات .

(٢) - استولى الثوار على جميع الاسلحة والتخاثر والخزائن
الاميرية والاموال وكافة ممتلكات الحكومة ومنشئاتها فى ثلثي قرن من
الزمان بما لا يقدر ثمنه بما دون العشرين مليوناً .

- (٣) خسرت مصر تجارتها مع السودان زهاء العشرين عاما وكانت قيمة صادراته ١١ مليوناً من الجنيهات ووارداته نحو ثلث هذا المبلغ. وقد درت الخسارة بمليونى جنيه سنوياً وجلتها حوالى أربعين مليوناً .
- (٤) أفقت مصر ١١ مليون جنيه فى سبيل استرداد السودان
- (٥) بلغ مجموع ما أفق على السودان من سنة ١٨٩٩ الى الآن كالاتى :-

جنيه — هـ

- ٥٣٢٣٦٩٦ القروض المعطاة من أجل الاعمال المتعلقة بنمو السودان من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩١٤ م .
- ٥٣٥٣٢١٥ الاعانات الممنوحة سنوياً لسد عجز الايرادات من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٢ م .
- ٣٤١٨٨٠٥ المصروفات العسكرية الخاصة بالسودان من سنة ١٩١٤ لغاية سنة ١٩٢٢ م .
- ١٥٠٠٠٠٠ مبلغ ما صرف على السودان فى ———— حتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ م .
- ٤٥٠٠٠٠٠ مادفع للسودان من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٠ بواقع ٧٥٠ ألف جنيه سنوياً .

٢٠٠٩٥٧١٦ الج ١

لجملة ما اتفق على السودان لا يمكن أن يقل بحال من الأحوال
عن مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات دفعتها مصر من دم أبنائها مقابل
٧٩٨٨٠٢ من الجنيهات اضطرت انكثرا الى النزول عنها لمصر في فبراير
سنة ١٨٩٦ عند الشروع في حملة دنقلة .

فيكون ما خسرت انكثرا بالنسبة لمصر من الاموال هو :
نصف في المائة

وتكون دعوى التعمير والنفقات قد انتهت بهذه المقارنة الصريحة
وتلك الارقام الناطقة .

الادارة المصرية والادارة الانكليزية

(١) وإننا بطلبنا إرجاع السودان الى
مصر نريد أن نجعله شريكاً له ما لنا وعليه
ما علينا.

(من مذكورة الوفد لمؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩)

(٢) لقد كان للمصريين قبيل احتلال
الانكليز السلطة التامة في السودان
ولكنهم أساءوا السياسة والادارة
لدرجة اضطرت السودان الى
طردهم فقد كانوا دخلاً
ظالمين .

(حديث المستر لويد جورج المنشور بالعدد ١٦٤٢٤)

من الاهرام الصادر في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٠)

يحاول الانكليز أن يدخلوا في روع إخواننا السودانيين أننا نريد
استعبادهم واستعمار بلادهم وهذا أمر لم يفكر فيه مصري على الإطلاق .
ولم يدرك في خلد أحد يوماً ما ولا يجوز بحال من الاحوال أب يصدق
مواطنونا الاعزاء اللهم إلا اذا جاز لاهل الولايات المتحدة الجنوبية أن
يصدقوا أن أهل الولايات الشمالية يتحكمون فيهم ويستغلون بلادهم أو
يظن سكان بافاريا أن قطان بروسيا يتسلطون عليهم .

على أنى جازم بأن شيئاً من تلك المزاعم والاههام لا يمكن أن
يجوز على عقول مواطنينا الاذكياء وهم يعلمون من التاريخ أن مديريات

السودان كانت ترجع في أغلب الاوقات الى مصر في شؤونها المباشرة دون تدخل الحكمادارية - شأنها في هذا شأن المديرية المصرية - وأكثر ما حصل هذا في عصرى سعيد واسماعيل ولم يطل العمل به إلا عندما تولى الحكمادارية غوردون وبناء على إلحاحه تمهيداً لما حدث بعد ذلك من المصائب .

أنا لا أستطيع أن أنكر أنه قد حدثت بعض المظالم في السودان في العهد البائد . ولكن هذا العهد كان شؤماً علينا وعلى إخواننا سواء بسواء . فقد كان حكمنا وحكامهم (وأقصد المديريين ورجال الادارة من ظلام الاتراك يسوموننا جميعاً سوء العذاب . وفي الوقت الذى كان يستعمل فيه (عقاب الهرة) في الجنوب كانت (الفلة والكرباج) هي العقوبة السائدة بالشمال . وكانت سبة (عبد) بالسودان تقابلها سبة (فلاح) في مصر . ولم يصعد السودان يعرف حكماداراً مصرياً صمياً من عهد محمد على فلا يمكن والحالة هذه أن تؤاخذ مصر بجريرة الماضي أياً كان نوع المظالم التي حدثت فيه لأنها بريئة منها ولا يد لها فيها . هكذا دوناً في مذكرة الضباط التي تقدمت للوفد في سبتمبر سنة ١٩٢٠ .

ومع هذا لو أننا قارنا بين العهدين المصرى والانكليزى لكانت النتيجة في جانب مصر دون انكثرا فقد كانت للسودان في عهد الظلم (المصرى) مجلس شورى يتعقد في كل عام للنظر في شؤونه وكان أعضاؤه من خاصة أهله . يقابله اليوم مجلس الحاكم العام وأعضاؤه جميعاً من الانكليز ، وكانت المظالم التي تحدث هناك لا تصل الى مسامع مصر ولو اتصلت بها ما سكنت عنها بدليل أن محمد على ذهب بنفسه

الى السودان لرأب ماصدعه الدفتردار ولم يدع سبيلا لارضاء أهله إلا
سلكه .

ولما شك الناس فداحة الضرائب لسعيد باشا رفع أكثرها وأمر
بتخفيض الباقي ، وبلغ من فرط حلمه ورحمته أن أصدر عفواً شاملاً
عن خلفاء الملك عمر قاتل الأمير الشهيد اسماعيل .

وبعجده أنهم ممتاز باشا وهو الحكمدار العام بالظلم والرشوة
أمرت مصر بسجنه بسجن الخراطوم والتحقيق معه فيما نسب اليه
ولم يشفع له سمو مركزه أو يحل دون ذلك . ولولا أن عاجله الموت
في سجنه لحوكم وحكم عليه جزاء وفقاً .

واقدر كل في البرلمان المصرى الاول عشرون نائباً عن السودان
مما يؤيد تأييداً قاطعاً شعور مصر من قديم بوحدة البلدين .

والسودان منذ تولى الانجليز إدارته لم يعرف من أبنائه مديراً
ولا وكيلاً ولا مفتشاً ولا ضابطاً عظيماً ولا موظفاً كبيراً حتى ولا
مأموراً .

أما في عهد الظلم (المصرى) فكان :-

الزبير باشا وسليمان بك الزبير و ادريس بك ابتر و يوسف باشا
الشلالى مديرين على التوالى لبحر الغزال .

ثم كان :- الشلالى باشا وبمده بساطى بك مديرين لسنار .
والياس باشا أم برير مديراً لكردفان .
وحسين باشا خليفة مديراً لبربر .
والطيب بك عبدالله مديراً لفاشوده .
ومحمد بك خالد زقل مديراً لإدارة .
والنور بك عنقره مديراً لكبكبيه .
والسعيد بك حسين وآدم بك عامر مديرين بمديريات دارفور .
واحمد باشا أبو سن ومحمود بك احمدانى واحمد بك جلاب .
مديرين بالعاقب للخرطوم .
وكان محمد بك الجزولى وكيلاً للمديرية الخرطوم .
واحمد بك مكوار وكيلاً للمديرية سنار .
وعمر بك العمرانى وكيلاً للمديرية بربر .
وكان على بك عمارة أبو سن مديراً للجبارك .
ومحمد بك التلب رئيساً لمجلس الاستئناف .
ومحمد بك خوجلى قاضياً للخرطوم .
وعثمان بك حاج حامد قاضياً لخط الاستواء .
والفكى (الفقيه) الشيخ الامين الضرير شيخاً للإسلام .
والبكوات : أبوبكر الجركوك والخليفة ود أرباب ومحمد عبد الرحمن

ود البشير وادريس النور وعبدالرحمن بان التقا
والفضل ابراهيم وغيرهم أعضاء بمجلس الاستئناف .
وكان بساطى بك المحسى باشكاتباً لمديرية الخرطوم .
والعوضى بك المرضى باشكاتباً لمديرية كسلا .
وحسن افندى الشريف معاوناً لمديرية بربر .
ومحمد افندى النصرى معاوناً لمديرية بحر النزال . . . الخ
وكان من بين القواد العظام :-

الماظ باشا . و آدم باشا . وفرج الله باشا . وفرج الزينى
باشا . و يوسف الشلالى باشا . و صالح الملك باشا . و السعيد حسين
باشا . و حسن ابراهيم باشا . و محمد على حسين باشا . و ختم
الموس باشا . و النور بك محمد . و سرور بك بهجت . و بنحيت بك
بطراكى . و محمد بك السيد . و سليم بك مطر . و النور بك
عنقرة . و فرج بك عزازى . وعشرات سوام .

وكان جميع عمد القبائل ونظار الاقسام وخاصة أهل البلاد وكبار
الموظفين المدينين يحملون الرتب والنياشين أسوة بالمصريين بل ربما زاد
عدد حاملها من الاهليين على عددهم من أعيان الفلاحين بمصر
وأذكر منهم على صييل المثال :-

بشير بك ود عقيد عميد الجعليين . وعبد القادر باشا ود
الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار وأول معاون سودانى
للحكمدارية .

وادر يس بك ود عدلان زعيم القونج ، واحمد بك ابو جن عمدة
قبيلة الحمدة ، وعلى بك البخيت ناظر بني عامر ، وعبد القادر بك ايله
عمدة الخلاقة ، ومحمد موسى زعيم الهدندوة ، واحمد بك دفع الله
عين أعيان كردقان ، ومحمد بك ياسين ناظر قسم كردقان ، واحمد
باشا أبوسن عمدة الشكرية ، وابنه عوض الكريم باشا ، وحفيده
على بك ، وكيكوم بك ملك الشلوك ، وعلى بك سالم عمدة
الكبايش ، وحسن بك أم كادوك عمدة البرنو ، وصالح بك
شنقة ناظر القلابات . ومحمود بك زايد عمدة الضباينة ، وبشارى بك
بكيير عمدة بنى هلبة ، والارباب بك ود دفع الله ، وعلى بك الخبير
وابراهيم بك البردنى ، ومحمد باشا ابوزيد ، ومحمد بك اليلالى ، وقناوى
بك ابو عمورى ، وصالح بك خليفه ، ومحمد باشا امام الشهير بالنجير
وغيرهم ممن يعدون بالثقات .

وكان لهؤلاء وأمتلهم من العمد والنظار والزعماء ومن أسلفت
من كبار الضباط والموظفين القول الفصل فى شؤون بلادهم .
بل كان من الضباط والجنود السودانين من اشترك اشترا كافعلياً فى
الثورة العراقية لان مصر لم تكن تفرق بين المصرى والسودانى ولا بين
الابيض والاسود من أبنائها .

فما أن لعبت أصبح الانكاز فى إدارة البلاد وآلت ولاية الحكم
الى غوردون للمرة الاولى فى عصر اسماعيل . بناء على رجاء ولى عهد
انكلترا ووساطته . أقصى المصرين والسودانيين عن الوظائف الكبرى
وكف أيديهم عن ادارته ونصب بدلهم من الاجانب .

جسى باشا، وجيكار باشا، والدكتور شنيتر (أمين باشا)، وفردريك روسى، وسلاطين باشا، ولبتون بك، وراليا بك، ومسنجر باشا، وتشرمسيد باشا، ومارنوا بك، ودى كوتلجن، وكوستي بك، وميسون بك، ومليانو بك، ومركوبولى بك، والدكتور زورنجين بك، ومسدايه بك، وامليانى داتزنجير، وبرجوف بك، وجوتقرث روث، وجوست جويزى، وسوام.

واتخذ منهم مديرين ومحافظين ووكلاء وأطباء ومفتشين وكتبة ومعاونين. وهم ماين انكليزى وإيطالى ونمساوى وألمانى وزوى وما لا أعرف أيضاً.

فاختلت ادارة السودان وكان لابد من اختلال العالم كله لو قبضت على أزمة الحكم فيه عصبه أمم من الخليط الذى ذكرت، فبالك والسودان لا يعرف هؤلاء ولا هم يعرفونه !!

واذا كان السودانيون قد قعموا من سعيد باشا تعيين أراكيل بك حاكماً عليهم - وهو شرق منلهم - ولولا حكمة أراكيل وحسن تصرفه لقامت الثورة. فكيف لا يتورون وقد أصبح الحكم بأجمعهم من الاجانب الذين لا يفقهون لغة البلاد ولا يفهمون دينها ولا يعقلون شيئاً من عاداتها وأخلاق أهلها.

فهؤلاء هم أهم أسباب الثورة وفى أعناقهم ضحاياها وعلى رؤوسهم قنصب دماء شهدائها من الجبابرة المصريين والسودانى.

عهد الثورات

والثورة المهدية

كان السودان وديعاً هادئاً لا يكاد أحد من سكانه يتوهم الخروج على أولى الامر أو تحدته نفسه بالجنوح الى الثورة . فاعتم أن حل به (لودنس القرن التاسع عشر) وأعنى به غوردون . باسم القضاء على تجارة الرقيق حتى قام ينكل بالجلابة وآلهم وذوهم وطفق يقضى عليهم بالاعدام ويصادر أموالهم ويستصفي أملاكهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر . البرى منهم بحريرة المذنب . فى الوقت الذى كان يعلم فيه حق العلم أن أبناء جلدته بالمستعمرات الانكليزية يأخذون اموال هؤلاء بالهواذة واللين متوخين فى ذلك كل ما أوتوا من دراية وخبرة بطبائع الامم . فكان هذا العمل من جانبه هو ومن عددت من أعوانه أول ما أثار علينا نائرة السودانين إذ أيقنوا أن مصر قد آثرت أن تستعين بأولئك الاجانب (الكفار) للانتقام منهم والعبث بدينهم . وقد قيل إن هذا كان من الاسباب الرئيسية التى دعت (عثمان دقنة) أخطر ثوار السودان وأشد أنصار المهدية وأعظم قواد المهدي الى الاندماج فى الثورة والقيام بنصرتها بكل ما أوتى من جلد ونجاعة ودهاء لأن مفتشاً من عمال غوردون صادر أمواله ظالماً وعدواناً ، وكانت تبلغ زهاء العشرة آلاف جنيه لمجرد الاشتباه فى اشتغاله بتجارة الرقيق . فأحفظه ذلك على الحكومة وما يرح يستربص بها الدوائر حتى قام المهدي فنصره بكل قواه

وانتهز جماعة الموتورين والاشقياء تلك الفرصة وقاموا بالثورة نالو
الثورة فقام سليمان الزبير في بحر الغزال وخلفه راجح . وثار أهل دارفور
بزعامه أميرهم هرون الرشيد . كما ثار أهل كردفان برئاسة الصباحي .
ولم يكتف لوردنس القرن التاسع عشر بأذكاء نار كل تلك الثورات .
بل قام يناوىء الاحباش ويستنبرم للخلاف مع مصر ففشلت دسائسه
ودارت عليه الدائرة ولم يجد بداً من الاستقالة ورجع الى قومه ملوماً
محسوراً . وأبى الاقدار إلا أن تجعله وقوداً للنار التي أشعلها إذ عاد الى
السودان لاجلاء المصريين عنه فلقى حتفه فيه .

وانتهز المهدي بدوره تلك الفرصة النادرة وقام يدعو قومه
للتخلص من تلك الادارة المعجبة ولم يجد بداً من التترس بالدين ليقينه
بأنه الوتر الحساس في البلاد .

تطور الشعور تطوراً غريباً . فبعد أن كان النسل المحبوب لدى
عامة أهل السودان (الترك لبسونا القميص وعلمونا الحديث) صاروا
يتنافسون في إيراد الامثال الدالة على الحفيظة والنقمة من المصريين
والتحرق لقتالهم .

فبينما نرى أفريقا يقول : (هواي هواي أسير للمهدي في قدير)
إذا بك ترى الثاني ينشد (بشاير الخير جات لنا - واليوم ظهر
مهدينا) بينما الثالث يقسم (وحاة قولي صواب - خنق قيركم
ضاب) فيردد الرابع (ألف في تربة ولا قرش خردة في طلبية) .
ويترنم الخامس بقوله (ود الريف شين جابه حربه وكوكاب
في جمابه) ... الخ

استعرت نيران الثورة إذن . وكانت ولاية الحكم قد آلت
بعد استقالة غوردون الى رجل هو أضعف الناس طراً
لا الولاية فقط . ذلكم هو رؤوف باشا الذى وصفته الجمعية الوطنية
المصرية السودانية بالخرطوم أليق وصف وأصدقه إذ وجهت اليه
مشوراً عنوانه : (كنا نحسبك رؤوفاً فأينك خروفاً) . والحق أنه
كان فى ضعف النعاج .

ذهبت طائفة من المؤرخين الى أنه بعدما أخطأ الخطيئة
الأولى التى ترتب عليها اشتغال الثورة وبلوغها أشدها ، وهى إرساله
فصيلتين (بلوكين) من الجنود النظامية تحت إمرة ضابطين الى
جزيرة آبا وإسرايه الى كل منهما بأنه قائد الحملة وتفهم أبى السعود
العقاد بك معاون الحكمدارية فى نفس الوقت أنه القائد الأعلى
لكليهما . الأمر الذى دعا الى تنازع الرئاسة فالفشل فذهاب الريج
وتسبب عن ذلك أول هزيمة منى بها الجيش المصرى فى تاريخه
المشرق بالسودان . كما نجم عنه علو كلمة المهدي وارتقاع شأنه
وبعد صيته .

على أثر تلك التكة عقد مجلساً استشارياً من خاصة أهل
الخرطوم وذوى رأى فيها فقال له الشيخ شاكر الرئيس مفتى السودان
يومئذ (يحسن ببولاي الحكمدار أن يتولى القيادة بنفسه ليستأصل
الشئ من جذوره ويقضى على الثورة فى مهدها قبل أن تستفحل) .
فرد عليه قائلا (خست أيتها الشيخ أتريد أن ترمى زوجي وتيتم
أطفالي) ؟

هذا هو الحاكم الشجاع والقائد الباسل الذى لم يؤثر عنده طوالت حياته إلا ترؤسه المجلس العسكرى العالى الذى انعقد لمحاكمة عرابى باشا والحكم عليه بالاعدام .

فلما توالى الهزائم شعر العراييون بخطورة الثورة وعلموا بما كانت من جبن رؤوف وسوء تصرفه فبعثوا بخير القواد الى هناك رغم المحنة التى كانوا يجتازونها فى ذلك الوقت . وذهب البطل عبد القادر باشا حلى ققبض على ناصية الحال وأمن الخرطوم والجزيرة بعد ما أوشكتا على السقوط وسهد المهدي وأقضى مضجعه ونكل بأنصاره الواحد اثر الآخر حتى جعله يتوسل الى الولي فى كل صلاة بقوله : (اللهم يا قورى يا قادرا كفنا عبد القادر) .

وبعث القائد المجاهد فى طلب خمسة عشر ألفاً من الجنود المصرية ليضرب بهم المهدي الضربة القاضية ويدل دولته بالسودان وكان الأمر قد آل الى الانكيز . فأبى عليه السياسة الانكليزية ذلك ولم تكتف برفض طلبه بل أهملته لدى الخديو توفيق وحكومته الضعيفة بالجنوح الى الاستقلال . فأقصى عن وظيفته وولى علاء الدين باشا مكانه وأرسلت اليه ١٢٩٠٠ جندي من فلول جيش عرابى ليوردها هكس موارد البوار والسمار . وأبى هكس إلا أن تكون له القيادة أو يستقيل فنزلت مصر المهيضة على ارادته وأقرت جعله قائداً أول وعلاء الدين قائداً ثانياً وضربت بنصائح عبد القادر باشا البطل المجرب عرض الافق فكانت النتيجة المعروفة التى تنشق لها مرارة كل ذى قلب .

ورأت السياسة الاستعمارية أن تم النكبة فاستقدمت غوردون وبعثت به إلى الخرطوم لاجلاء المصريين الباقين بالسودان ظاهراً ولافتائهم والقضاء عليهم في الواقع .

ولاقى المصريون عسكريين ومدنيين الأمرين على يديه طول مدة الحصار . ومن الغريب أنه في الوقت الذي كان الموت يحتطف منهم بالالوف . وفي الوقت الذي قبلوا فيه عن طيب خاطر أن تكون جراية الجندي المصرى مائة درهم من النقرة في حين أن زميله من السودانيين والاراك والمغاربة كانت جرايته مائة وخمسين . وفي الوقت الذي نفذت فيه المؤونة وقنعوا بأكل الصمغ والجمار والجيف والجلود . بينما وجد لدى قائدهم الذي قيل عنه كذباً إنه شارك أبأس جنوده شطف العيش وصرارة الجوع . في يوم قتله (طبق به ييض مقلئ بالسمن وبجانيه علية من اللحوم في وسطها شوكة وقطعة من السكر في طبق آخر) والذي قال فوزى باشا إنه كان يجبدله في كل يومين أو ثلاثة دجاجة هزيلة أو زوجاً من الحمام الطاعن في السن .

أقول من الغريب أنه في هذا الوقت . وبالرغم عن الطاعة العمياء والصبر الجميل والقناعة المدهشة . صفات الجندي المصرى من قديم الزمان . كتب القائد الشريف الوفي المخلص إلى اللورد واسلى قائد حملة إنقاذه في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ كتاباً يقول فيه (لاتدعوا العساكر المصرية تأتى إلى هنا . تسلموا قيادة الوايورات منهم وأخرجوهم منها فانه لا فائدة فيهم) . وهو يقصد بهذا جنود بعثة

نصحى باشا الذى نجح حيث فشل استيوارت الانكليزى .
ولكن الحملة . لأمر ما . لم تنقذه فوات ومات معه أولئك
الجنود البواسل (الذين لافائدة فيهم) بعد ما دافعوا عنه وعن
الخرطوم أعظم دفاع ولم ينج منهم إلا طويل العمر طويل أيام البؤس
والشقاء والويل والضراء .

سقطت الخرطوم وبسقوطها سقط السودان كله . بقطع النظر عن
حاميتي كسلا وسنار . قاطمأت السياسة الانكليزية وراحت تبني الغدر
من جديد للمضى فى تديراتها .

وحدث ما حدث بعد ذلك مما هو معروف ومشهور . وأعيد فتح
السودان بمجنود مصرية وأموال مصرية ثم كانت اتفاقية سنة ١٨٩٩ م
المشثومة . فاذا تم بالسودان من يومها الى الآن ولم يكن بمال مصر
وأيدى المصريين — ؟ ؟ ؟

ادارة السـودان

من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٢٤

. أنفقت مصر ٣٥٠٠٠٠٠ جنيه لد السكك الحديدية .
تلك السكك التي قال عنها أحد الضباط الذين عملوا في انشائها إنه
توجد تحت كل شبر منها جثة جندي مصرى . وبلغ مجموع ما أنفق في
مبيل استعادة السودان ١١ مليوناً من الجنيهات وبلغت تكاليف ميناء
بور سودان مليوناً ومثل ذلك لد سككها الحديدية من العظيرة اليها .

وقامت مصلحة واحدة . هي مصلحة الاشغال العسكرية . يعمل
المنشآت التالية في مدينة الخرطوم وحدها في ربع قرن من الزمان .
(حديث صاحب السعادة اللواء محمد لبيب الشاهد باشا المنشور بالعدد
٨٣ من الدنيا المصورة الصادرة بتاريخ ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٠) :-

سراى الحاكم العام . دواوين المالية والحربية والحقانية والداخلية
والزراعة والبريد والتلغراف . ومساكن لكبار موظفيها (وكلهم
من الانكليز) . مكاتب تسجيل الاراضى . مخازن مصلحة الصحة .
الطبعة الاميرية . قشلاقات سعيد واسماعيل وتوفيق وعباس بضواحي
الخرطوم . ثلاثة قشلاقات كبرى بالخرطوم بحرى للطوبجية . خمسة
قشلاقات للانكليز . مساكن لضباطهم . مخازن الاسلحة والمهمات
والجبخانة والبارود . طاية الدفاع الكبرى . مخازن المهمات
والورش . قشلاق قسم الاشغال العسكرية . ورش ومخازن
قسم الاشغال الملكية . السجن العموى . كلية غوردون . جامع

الخرطوم . مساكن لصف الضباط الانكليز . مخازن تميمينات الجيش
للمصرى . مخازن وورش مصلحة وابورات النيل والراكب . رصيف
أمام مدينة الخرطوم . مستشفى الجيش . مديرية الخرطوم . مساكن
لكبار موظفيها . ادارة المصلحة البيطرية ومستشفائها . قشلاقات القيادة
بأم درمان . قشلاق القيادة الراكبة .

ذلك ماتم في الخرطوم وحدها . فما بالك بما أنشئ في جميع الانحاء
الآخرى وعلى الاخص بحلفا وأبي حمد والمطيرة وشندى وخور شمبات
وواد مدنى وكسلا والقضارف وسواكن وبورسودان والايض
والنهود وبارا والدلتج وتالودى والدويم والتوفيقية والسوبات واليبور
وبلاد دارفور وبحر الغزال ومنجلا ؟

لقد كان للضباط والموظفين الانكليز في كل جهة من هذه أحياء
مستقلة قائمة بذاتها في أجل البقاع ملأى بالدور والقصور محفوفة بالحدائق
النضرة دونها قصور الزمالك (وفلات) للمادى .

وبينما يربط الجنود البريطانيين بالخرطوم وبعض الحواضر
ويستمتعون بسكنى أجل الاحياء وأرقى المنازل ولهم أطيب العيش
وأسعد الحياة حين يريحون وحين يسرحون . كان جنود أورطة السكة
الحديدية وهى أكبر أورط الجيش المصرى يقاسون شظف العيش ومر
الحياة في السهر على صيانة تلك السكك وتعهدوا بالإصلاح كلما دسرتها
السيول أو جرفت بها الرياح أو غمرتها الرمال متحملين في ذلك كل اعباء
العمل المضني الشاق في حمارة القبط وزمهرير البرد بين عصف الزوابع

وقصف الرعود وويلات (الهبوب) .

وكان اخوانهم من جنود باقى الاورط يقومون فى الحين
بعد الحين بانهم — اذ الحركات الثورية الداخلية التى زادت على المائة
والعشرين حتى ابعاد الجيش المصرى عن السودان . وكان عليها
الغرم دائماً . والادارة الانكليزية (حكومة السودان) الغرم على
كل حال .

أما عن السياسة الانكليزية فى ادارة السودان فحدث ولا حرج
عن طرائق الاستعمار وسبل الاستغلال وضروب الخديعة والختال .
وحسبك أن تطالع فيما يلى على بضع فقرات من كتب بعثت بها الى
صديق لى فى سنتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ طلب الى أن أعرفه عن الحالة فى
السودان وكيفية ادارته :-

١ — من كتاب

قد نظن أن معلوماتى محدودة لأننى لا أجوب أنحاء السودان فلا
أستطيع أن أطرفك بوصف القليل من مختلف المناظر والاصقاع ولا
الكثير من العوائد والطباع . وهذا صحيح من هذه الوجهة فقط ، أما من
من وجهة آثار السياسة الانكليزية فى البلاد وميول أهلها وذلك ما يهيك
ويهم مصر والمصريين . فأنى أستطيع أن أحدثك عن البلاد من أقصاها
الى أقصاها اعتماداً على أن الايض التى أقيمها ليست نالئة مدائن السودان
بعد الخرطوم وأم درمان فحسب . بل على كونها الحد الفاصل بين المدينة

والهمجية وجماع مختلف القبائل العربية والزنجية وطريق القوافل الناهبة والآية من دارفور وجبال النوبة وبحر الغزال وحاضرة أكبر المديريات عمرانا وأعظمها شأنًا . والعاصمة الاولى للمهدية في أنضر أيامها وأزهر أوقاتها . وفوق ذلك . وأأسفاه . أوسع مقبرة ضمت رفات أولئك الابطال الشهداء الذين رووا رمال صحراوات كردفان بدمائهم الزكية تقانيًا في الدفاع عن علم مصرنا المحبوبة الذى طوى هناك لآخر مرة في موقعة شيكان على بعد مرحلتين من هنا في مأساة هكس المشهورة . ولربما أحدثك عنها قريباً فقد وعدنى أحد الاعيان بأن يرينى بقايا عظام قوى التي لم يعن أحد بدفنها حتى يومنا هذا .

فأنت ترى هنا . في أسواق الابيض . من الاعراب البقهارى والجللى والشايى والجميعابى والجوامعى والرزيقاتى الى جانب اخوانهم من عبيد النوبة وبحر الغزال والجهات الامتوائية وأشباهم من الفلانة والتكرانة والفوراوين (آل دارفور) والبرقاوين وسواهم من الاحباش والمولدين . وترى الجميع على اختلاف اجناسهم وتعدد صفاتهم وتبليبل ألسنتهم والاعراب منهم على الاخص . وهم العنصر السائد بكردفان . يتدققون من كل الآفاق على الابيض في زمن الخريف لتصريف بضاعتهم من الدواجن والالبان وما اليها وابتضاع حاجاتهم من الشاي والسكر أولاً وقبل كل شئ فالملابس ونحوها من ضروريات الحياة . وهم في أثناء ذلك يحتلطون بنا معشر المصريين لبيع تجارتهم .

ولا مندوحة لمنلى ممن وقفوا أنفسهم على خدمة الوطن
وانتهاز كل فرصة لرفع شأنه ومحاولة إيصال النفع اليه بكل الطرق
الممكنة من الاحتكاك بكل هؤلاء والتفاهم معهم للوقوف على آرائهم
وتعرف سرائرهم . ومع أنك تستطيع أن تقنع نفسك بأنه من أيسر
الامور لديك أن تستطلع أخص خصائص نفسية أعرابي ساذج من
هؤلاء بـسـدح من الشاى وقطعة من السكر فانك متى دخلت معه
في صميم الموضوع وأدرك بعض غرضك بذكائه الفطرى ألفتته
يراوغك ويستعمل معك كل ما أوتى من ضروب المكر والدهاء
ووجدت نفسك أمام مشكلة عويصة الحل وأنت ما برحت بعلمك
ومدنييتك أعجز من أن تقف على سريرة بقارى أبله .

إلى وربى يا صديق هذا هو الواقع ، فبشئ من الاكرام
البسيط الذى ما جاوز قدحاً من الشاى وبعض المشاشة استطعت
من أساييم أن ابتاع من أعرابي عشرين دجاجة بخمسة عشر قرشاً
وكان قد قبل اثني عشر قرشاً فقط وأصبحت لديه من أحب عملائه .
ومنذ أيام قليلة أبى كل الالباء أن يذكر لى شيئاً من تاريخه فى جيش
المهدية وحقيقة عواطف قبيلته نحو المصريين مع وعدى إياه بأعطائه أقة
من السكر ورطلا من الشاى إلا إذا أقسمت له على القرآن الكريم بأننى
آمن بعهدهم إيماناً حقيقياً .

لهذا لا يعلم إلا الله وحده كم ألاقى فى سبيلى من المشقة
والجمل بل من الهزء والسخرية ، ولكن كل شئ يحتمل فى سبيل
مصر .

٢ - من كتاب ثان

يؤسفني أن أصارحك بأني أشعر هنا بمرارة الغربة وألم
الاغتراب ، وسيدهشك هذا القول مني وسوف تقول يا أسفا على
من يرى من حق مصر أن تسترجع أوغندا فوق زيلع وهرر
وببرية ومصوع . ولكن دهشتك ستزول حتما إن أنت علمت أننا
لا نقيم في السودان المصري بل في مستعمرة انكليزية أظهم
ظواهرها صلف الحاكمين ونفور المحكومين لا من هؤلاء وإنما
منا نحن المصريين .

ولقد حاولت أن أقف على سر هذا الشعور الغريب ففهمت أن
منشأه الاعتقاد . الخاطئ أو الصحيح . بأننا أداة لتمكين
المستعمرين من رقاب المستعمرين . وآية ذلك عندم أنه كلام السودانيون
بخلع نير الانكاز أصلتهم النيران أبداً مصرية ودؤوس انكليزية .
وقد حدث هذا أكثر من مائة وعشرين مرة في بحر الخمسة
والعشرين عاما الفائتة.

سألت منذ بضعة أيام سودانياً نابهاً من الاعيان اعتدت
أن أحياه في طريق الى عملي كلما رأته جالسا مع ضيفانه أمام داره
ولاحظت أنه يتفرد أحيانا بالرد على تحيتي دون جلسائه . في حين
أن بعضهم ينظر إلى بالنظار الشذر وأكد أتبين الجفوة والبغضاء
في عينيه فأكد بدوري أتميز من الغيظ . قلت (أما يعرف
جلسائك قول الله تعالى - وإذا حيئتم بتحية - الآية) ؟

قال يعرفونها كما يعرفون أنفسهم . قلت فبالهم لا يردون تحيتي وإن ردها البعض فبفتور وجفاء .

قال : أما الذين لا يردون فيعتقـدون أنك (كافر) كقومك لأن العامة يفهمون أن جميع الترك وأولاد الريف كفار لأنهم استنصروا بالغوردون وأهله في حكمهم . وأما الذين يردون فقد رأك بعضهم تصلى في الجامع فعلم أنك مسلم وسمع من نابهي قومنا من أصدقائي وأصدقائك ثناء عليك . والحق أننا جميعاً نعتقد أنكم أصل بلاتنا وسبب شقائنا . فلو كفيتمونا جندكم لاستطعنا أن نجلى هؤلاء الكفرة . ويعنى الانكليز . عن بلادنا ضرباً بالعصى والسياط . وفوق هذا فإن الاغلبية تعتقد أنكم لاتحيوننا إلا رغباً أو رهباً كما يلقى الفتات الى الكلاب الضالة إما تقرباً اليها أو خوفاً منها . فأنتم تحقروننا ونحن نجتويكم .

٣ - من كتاب ثالث

استأثر الانكليز بجميع الوظائف العسكرية والادارية الكبرى ولم يتركوا للمصريين ولا للسودانيين شيئاً يذكر . فهناك قواد الجيش والحاكم العام وأركان حربه وكل أياديه وألسنته وجميع حاشيته وبطاته . وهناك السكرتير المالى والسكرتير القضائى ومدير المخابرات ومديرو جميع الادارات ورؤساء كافة المصالح ومديرو سائر المديریات ووكلاؤهم . كل هؤلاء من الانكليز .

وفوق ذلك فإن اسكل مركز مفتشاً ولبعضها اثنين أو أكثر

منهم أيضاً والى جانب هؤلاء وكيل مفتش ومأمور ونائب مأمور مصريون فى بعض المديرىات ولا فىها كلها .

أما وظيفة وكيل مفتش التى يشغلها فى القليـل ضابط مصرى برتبة بكباشى فلا أدرى ماهيتها الى الآن وكل ما استطعت أن أعرفه عن عمل أحدهم أنه كان يقوم بقوزيع السكر على التجار .
وتعلم أن السكر وزيت البترول (الغاز) وبعض المواد الهامة الأخرى يحتكرها الحكومة والسعر الحالى (فى سنة ١٩٢٣) ثلاثة عشر قرشاً صحيحاً لأقة السكر واثنان وأربعون لصفحة زيت البترول .
وقد اتصل بى أن هؤلاء الوكلاء سلطة قاض من الدرجة الثانية (الفصل فى القضايا العديدة الاهمية والغرامة الى خمسة جنيهات) .

وليس بى من حاجة الى القول بأن أحكامهم يضرب بها عرض الحائط متى رأت السياسة الانكازية حاجة الى ذلك .
وأذكر والشئ بالشئ يذكر . أن قائم مقام مصرىاً معروفاً هو الآن برتبة لواء كان الى سنة ١٩٢١ يعمل كوكيل مفتش تحت رئاسة مفتش انكازى برتبة بكباشى ، فلما ترقى للمصرى الى رتبة أميرألى ترقى رئيسه الى رتبة قائم مقام ، ولما ترقى الوكيل الى رتبة لواء أصبحت المسألة مكشوفة ومنتقدة فأوجدوا لها حلاً بديعاً وذلك بجعل وظيفة المفتش ملكية .

أما وظيفة المأمور فأشبه شئ بوظيفة معاون الادارة عندها

أى محقق إدارى . إلا أن مأمورينا هنا يضرب بتحقيقاتهم عرض الحائط أيضاً متى رأت السياسة الانكليزية لزوماً لذلك .

وقد رؤى أخيراً تنصيب مأمورين ووكلاء من السودانيين . وهى سياسة ظاهرها العدل وباطنها الخبث . معناها السطحي إحلال الوطنيين محل (الاجانب) وحقيقتهم — خلق النفور بين المصريين والسودانيين . فهم لا يضعون فى هذه المناصب أبناء الأئسر والقبائل العربية المعروفة وإنما ينصبون الزوج وأشباه الزوج ممن لم ينالوا أى قسط من التعليم والتدريب لأن معظمهم من خدم وحشم كبار الموظفين الانكليز . ولا ريب أن عقلية هؤلاء لا يمكن أن تتفق هى وعقلية الضباط المصريين فيحصل الخلاف والشقاق ويعقبهما التحاكم الى المفتش أو المدير الانكليزى ويتشيع هذا أو ذاك للسودانى دائماً . فيورث تشيعه الضغينة والحقد فى نفس المتحاكين . وهكذا قدر فى برنامج السياسة البريطانية أن يبعثنا من السودانيين الحاكم والمحكوم .

وقدس سياسة وضع المأمورين من المصريين ذات معان . فالأمور ومساعدوه منوط بهم تحصيل العشور ، وفى هذا الوقت يمنحون أوسع السلطات فيضربون ويجلدون ويعذبون ويسجنون ويطرقون كل السبل لتأدية واجبهم فيضج الأهالى بالشكوى للمفتشين والمديرين ويتنصل هؤلاء من التبعة . وقد يوبخ الشكو فى حقه علناً من نفس أمره باتخاذاته الاجراءات القاسية . ويعنى المتأخرون ويطلق سراح المسجونين ويستعطف المذبذون والمهانون ويسر اليهم

أن هكذا بحكم المصريين . فيدعون للانجليز بالخير وويل للمصريين .
ومما يؤسف له أشد الاسف أن أغلبية المأمورين المصريين تتحمل
هذه التبعات الشائنة راضية صاغرة وما سمعت أن أحداً منهم أخذته
العزة الوطنية والحمية المصرية فوقف موقف الالباء والشمم وأظهر بعض
ما تقضى به الشهامة العسكرية . اللهم إلا الضابط الوطني العامل اليوزباشى
(صاغ الآن) على افندى موسى مذ كان نائباً للمأمور الابيض وآخرون
لا يكادون يعرفون لأنهم أنصاف شجعان .

٤ - من كتاب رابع

أريد أن أدلك على شر مما ذكرته لك فى كتي السابقة ؟ ؟ ؟
إذن أقسم لك أن أصـدق ما يوصف به السودان انه بلاد
الاتقسام . بلاد الشقاق والنفاق . كما سى العراق قديماً الامام على
كرم الله وجهه .

فهناك اتقسام فى صفوف الضباط واتقسام فى صفوف الموظفين
واتقسام فى صفوف الاهالى واتقسام فى صفوف القبائل واتقسام
فى صفوف العشائر واتقسام فى كل شىء واتقسام فى كل زمان
واتقسام فى كل مكان .

فالشقاق سائد بين الضباط المصريين والضباط السودانيين
ومستحکم بين سائر الضباط والموظفين المدنيين .
وهناك شقاق بين الموظفين أنفسهم . فلا تكاد ترى كاتباً يتفق

مع مترجم ، وهناك شقاق آخر بين موظفي الحكومة المصرية وموظفي حكومة السودان وشقاق أكبر بين العرب والزنج . وشقاق عام بين كل قبيلة وأختها . فسياسة (فرق تسد) ظاهرة للعيان . وهذا هو السر في أن كلمة انكاترا هي العليا وكلتنا هي السفلى . وحق والله للانجليز أن يترغوا دائماً بنشيدهم القوي (احكمي يا بريطانيا) .

٥ - من كتاب خامس

سمعت طرفاً من أنواع العدالة الانكليزية في ادارة السودان ليس لانكاترا بعدها أن تعيرنا بالظلم :-

(ا) أتعرف التحية التي فرضها أعدل مستعمرى العالم على عبيد النوبة الذين اشتهروا بشدة البأس وقوة المراس ؟ يجب على النسوبي متى رأى رجلاً من رجال الحكومة أن يقف في الحال ويرى سلاحه على الارض ويرفع يديه الى مافوق رأسه ويخرج لسانه . ومعنى هذا أنه سلم سلاحه وأصبح مجرداً وكف عن السب والشتم وقدم فروض العبودية والخضوع . أفكان يفعل هذا أقصى الحكام الاتراك في اتمس ايام جبروهم ؟ كلا ورب الكعبة .

(ب) للمفتش الانجليزى أن يفرض الغرامة التي يراها ومن ادوع انواع العدالة . ان بعض هؤلاء المفتشين يفرضونها على

الظالم والمظلوم والشهود أيضا .

(ج) مفروض على الاهالى والموظفين المدنيين تحية كل موظف انجليزى يقابلونه فى طريقهم ويجب على كل راكب بالغمأ مابلغ شأنه أن يترجل متى رأى أحداً منهم .

(د) نصبوا من الوطنيين عمداً ونظاراً على القصر والحلال وأعطوا لصنائعهم من أوائلك من السلطان فوق ما كان للماليك بمصر . وشر ما سمعته أنت للبعض أن يفرض الغرامة على من يشاء من رعاياه ويأخذها لنفسه . وأغرب ما علمته أن أحدهم استقام له الامر فى حلتة واتقطع دابر الشكايا من فرط ظلمه فضاقت به الحيل واحتاج الى المال فأتى بأحد المغضوب عليهم من قومه وقال له : بلغني أنك قد أسأت فيما مضى الى المرحوم فلان وعليك الآن أن تدفع غرامة قدرها كذا . فجن جنون الرجل وذهب يشكو الى المفتش البريطانى العادل فكان جوابه أن فلاناً ثقة ولا سبيل الى تكذيبه وأجبره على دفع الغرامة اليه فكان كالستجير من الرمضاء بالنار . أفهذا أبأس يا صديق أم الحروف فى حكاية الذئب والحمل المشهورة ؟ لا ريب عندى أن هذا أبأس . لأن ذاك لم يحتكم الى أحد وكان خصمه هو الحكم . أما هذا فقد احتكم ولكن الى اظلم وانغم .

فن هؤلاء العمدة والنظار انتخب الوفد السودانى الذى ذهب الى انكرا فى سنة ١٩١٩ ولقن إعلان غضبه على المصريين وحكمهم ورضائه عن الانجليز وعدلهم . فليفهم المصريون هذا وليعلموا .

٦ - من كتاب سادس

أثقل المستعمرون كاهل الاهلين بمختلف الضرائب . فتجبي منهم على الاراضى والمساكن والماشية والانعام والماء والهواء والبول ايضاً . وفوق ذلك تجبي على البيع وعلى الشراء وعلى قطع الاخشاب من الغابات وعلى الانتقال الى مختلف الجهات وعلى كل شئ مهما تفه وحقه .

وإن تنس لاتنس أن ضريبة الخروف ثلاثة وثلاثون ملياً مع ان متوسط ثمنه ثلاثة ارباع الريال . وإن تنس لاتنس أن الرجل يقضى جلاء نهار وطرفاً من الليل فى اقتطاع الاخشاب من الغابات فتتقاضى منه السخوية ما يقرب من نصف ثمن ما احتطبه . وإن تنس لاتنس أن الشخص إذا بدأ له ان يفتح نافذة جديدة لتهوية داره وجب عليه ان يدفع جملاً . وإن تنس لاتنس أن على كل مالك أو مستأجر ان يدفع عشرة قروش شهرياً ضريبة (جردل البول) وذلك غير عوائد الاملاك والخفر . وقس على هذا .

ولا تنس ايضاً ان الاحكام العرفية ماثزال مبسوطة على البلاد منذ الفتح الاخير فلا يستطيع انسان ان يرفع صوته باحتجاج .

فالسودانى . فى الواقع . مغبون ومظلوم . لا يستطيع أن يدرأ عن نفسه ذلك الظلم البين إلا بالضراعة الى الله بأن ينقذه من استعمار الانكليز والمصريين على السواء . بل المصريين على الاخص لأن المصريين هم الذين يتولون جباية تلك الضرائب الفادحة ويستعملون فى جبايتها الطرق التي ذكرتها لك فى كتاب مضى --- دع عنك اجور السكك الحديدية والبواخر النيلية فلها فوق ما يتصور العقل من الغلاء

٧ - من كتاب سابع

يعرف الانكليز أن الدين هو الوتر الحساس في البلاد ويعلمون علم اليقين أنه ليس أغلى على عرب السودان من دينهم ، وأنهم يبحثون عن حتفهم إن حدثتهم أنفسهم بالتعرض له بأية وسيلة من الوسائل . ولهذا اكتفوا بنشر الدعاية بواسطة المبشرين بين الزوج بالطرق المعروفة . وبما أن هؤلاء بدورهم لا يؤمنون بغير الفتشية ولا ينفون عن دياتهم حولا . فكل جهد يبذل في هذا السبيل ضائع لاحالة . وإنما هو ضرب من ضروب الاستعمار وتجربة تأخذ مداها وأداة لاستدرا العطف على حكمهم والرضا بعدلهم وبأي الله سبحانه وتعالى إلا أن يفوت عليهم قصدهم ويعكس غرضهم . ومع ذلك فالأمر جدير باهتمام مصر والمصريين بل سائر المسلمين .

٨ - من كتاب ثامن

تسألني عن مبلغ ما يقال عن سياسة إخواننا السوريين بالسودان من الصحة . والحق أنني لأدري بم أجيبك . فأنا معجب بهم بمقدر لجهدهم ونشاطهم . وفيهم الكثيرون من أفاضل الرؤساء وأماجد الزملاء وأماثل النزلاء .

صحيح أنهم يحتلون أغلب المناصب الرئيسية بمعد الانجليز في البلاد ، وصحيح أنهم يساعد بعضهم بعضاً ، ولا غبار عليهم في هذا . فالجنس للجنس أميل . وتلك طبيعة كل أقلية في كل

مكان وزمان .

أما ما يقال عن خدمتهم للسياسة الانكليزية فصحيح أيضا .
لأنهم بحكم وظائفهم . أيدى الانجليز العاملة وألسنتهم الناطقة
وهذا ما يجعلهم في نظر المصريين والسودانيين في مركز لا يحسدون
عليه .

٩ — من كتاب تاسع

أقيم سياج متين لمنع اختلاط العرب بالزنج — غير الرقيق —
واستحكم العداء بين العنصرين اللذين يتألف منهما السودان . فقالت
العرب ليست الزنج على شيء . وقالت الزنج ليست العرب على
شيء — شأن السياسة الانكليزية في مشارق الارض ومغاربها — بل
لعبت بد التفريق بين العرب ذاتهم ، فالبقارى يبغيض الجمع —
وهذا الاخير يحتقر الشايق — وهكذا ترى خلفاء الأمة العربية هنا
كأبناء عمومتهم في شبه الجزيرة .

١٠ — من كتاب عاشر

أحزن ما يحزننى أنك تقول في معرض الرد على
— تشبهوا بالانكليز — الانكليز ياصديق لهم في كل بلدة
من بلاد السودان القصور الشاهقة والحدائق المنمقة التى أسست
وبنيت على حساب المصريين ومن دماء الفلاحين المساكين .
أما نحن فنقطن متفرقين في (القضايا والتكلات) أو بيوت من
الطين النىء مسقوفة بجذوع الاشجار وبعض (الابراش) وكل ما يقيها

من الهدم طلبها بروث البهائم - وهم يستمتعون بكل السلطان ونحن لاسلطان لنا حتى على خدمننا الذين تؤتيهم أجورهم ضعفين . وإذا ادعى منهم مدع لدى القتش الانكليزي أنه لم يتناول مرتبه أجبر مخدومه على دفعه وفوق هذا يهان ويسجن إن لم يقبل الاهانة .

ياقوم استحلفكم بحق مصر ألا تنسوا السودان وثقوا بأن المصرى غريب فى بلاده هنا حقا . وأن السياسة دائبة على فصل الاخوين الشقيقين .

لقد فرحتم أن انتصرتم على العدلين (كتب هذا فى أوائل سنة ١٩٢٤) وهم مصريون يختلفون معكم فى الآراء . فوجهوا تلك الجهود للقضاء على دسائس خصومكم بالسودان .

اتحدوا اتحدوا فانه . والذي فى السماء إله وفى الارض إله . لاشئ أنفع من الاتحاد . واجمعوا السهام التى كنتم تترشقون بها وصوبوها لنحور الاعداء الحقيقيين - فإن لم تفعلوا - فسلام على مصر و سلام على السودان وعفاء على الاستقلال وعفاء على البرلمان . اهـ

* * * *

تلك بعض آثار السياسة الجهرية التى اسـ تطعت الوقوف عليها بمجهودى الفردى وهى قطرة من بحر وكلمة من سجل . أما السياسة الخفية فعلمها عند الانكليز وحدهم وهى سر تفوقهم الاستعمارى وقبضهم على ناصية الأمم المغلوبة على أسرها .

وإذا كانت مصر مع ما بلغت من علم ومدنية قد ارتجت عليها ولم تستطع أن تقف على شيء من كنه تلك السياسة ، فأحرى بالسودان أن يجهلها كل الجمل .

على أنى بعد الذى وقفت عليه حتى إبعادى من السوان فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٤ . أظلم نفسى وأظلم السودانيين وأظلم الحقيقة إن أصررت على جهل السودانيين بمآرب السياسة الانكليزية . فبتعرفى الى الكثيرين من خاصتهم وعامتهم وباختلاطى بأوساطهم وبالصدافة التى توقفت عراها بينى وبين الكثيرين من زعمائهم . توصلت الى معرفة حقيقة شعورهم وأتيح لى الوقوف على خفايا صدورهم وتأكدت أنه لا تكاد تخفى على عقلاهم خافية من أمر تلك السياسة .

تبسطت يوما فى الحديث مع رجل من أئبه رجال كردفان واستلحفته بكل عزيز أن يصارحنى برأيه فقال لى مامعناه : (اسمع يا بنى . لقد علمنا التعايشى كل ضروب النفاق وجنى على أخلاقنا أكبر جناية حتى لكأنه كلف انكليزيا أسود ففرق بين القبائل والأسر لدرجة أن الرجل منا ما كان يستطيع أن يفضى بذات صدره لأمه وأبيه وفصيلته التى تؤويه . وما اجتمع اثنتان منا يتناجيان إلا وهما يخالان أنه ثالثهما فقشت الغيبة والنميمة وطنى التمليق والزلفى حتى أضحت من صفات السودانيين المكتسبة . فلما جاء الانكليز ورأيناهم يسلكون مجازة وينسجون على طرازه فيصنون لسماع كل وشاية وينشرون بيننا لحكمهم وعدلهم أوسع دعاية

ويرحبون بكل من اغتر بهم وانخدع بأعمالهم . في حين أن قومك وقفوا آنا متفرجين وآونة شبه راضين . انصرفت قلوب الناس عنكم إلى من هم أقدر منكم حتى خيل أننا مغرمون بهم متيمون بحبهم . وهم لا يفقهون أن التعايشي كان يتوهم هذا من قبلهم .
وانى لأصارحك الآن بأننا لا نبغى بغير الاستقلال بديلا فلا نريد الانكيز ولا نريد المصريين ولا نرضى بملائكة الرحمن أنفسهم إن هم أرادوا استعمار بلادنا . فالعبيد ذاتهم يتفانون في سبيل الحرية ونحن سادة العبيد فكيف لا نفعل مثلهم فلا يخذلك ما تراه .
أما إذا كانت مصر تغنى ما تقول حقيقة وتريد أن تجمع — من السودان شريكاً لها — ما عليها ما عليها فالسودان عبد مصر وأنا بهذا زعيم) .

* * * *

وبعد . فكل ما أنشئ بالسودان غير ما أسلفت . عدا مشروعات الجيزة وخزان مكوار . إنما هو عمال مصر وما خسرت فيه انكثرا مثقال ذرة .

فحضر اختلاق واسفاف في التبجح ما يدعيه الانكيز من حق الفتح ومن التعمير ومن التمددين ومن كل الدعاوى العريضة الشهيرة .

واليوم الذى تتوهم فيه الامبراطورية فصل مصر عن السودان بالفعل ما يزال بعيداً بعد السماء عن الأرض .

والآن وقد انهار صرح الحجج الانكليزية من أساسه حجة إثر
حجة فلا فتح ولا صفحا ولا مال ولا إدارة حسنة ولا عدالة شاملة . لم
تبق إلا دعوى إثارة السودانيين في سنة ١٩٢٤ .

فلنبحث عن آثارهم ولنبين إلى أي حد قعدت مصر عن
نصرتهم مع أنها لو شاءت لانهزت الفرصة وقضت على نفوذ الانكليز
قضاء نهائيا . ولكن قدر فكان .



حقيقة ثورة سنة ١٩٢٤

انجلت الثورة المهدية عن فقد عدد لا يحصى من السودانيين بالرغم مما اتصفوا به من الجلد والشجاعة والصبر والاقدام . فقد ظلوا يحاربون الانكليز في شخص مصر سبعة عشر عاما متوالية . وهم في الوقت نفسه قد حاربوا الاحباش والطيالان والممالك المجاورة لهم من الغرب (المتاخمة لدارفور) فضلا عما أنزله بهم التعاشي وقومه من أنواع الظلم والارهاق وضروب العسف والاضطهاد حتى أفضى قبائل برمتها كالشكرية والكبابيش اللتين كان يبلغ تعدادهما نحو المليون نفس . وكاد يقضى على الشايقية والجعليين والبطاينة وسواهم ممن حل بهم سخطه ونزل عليهم غضبه . وفوق هذا وذاك فقد قضت المجاعة التي حدثت في عهده على مئات الالوف منهم . وأسفرت النتيجة النهائية عن تناقص عددهم الى أقل من النصف . واستولى عليهم ما يستولى على الكمي المنهزم من علائم الذلة ودلائل المسكنة .

وكانوا قد تمنوا أن تنقذهم مصر من ظلم الخليفة وتعود بهم الى ساحة عدلها وباحة عطفها واذا بهم يرونها وقد غلبت مثلهم على أمرها ونولى الانكليز شأنها . وما برحوا أن رأوا للانكليز القول الفصل والسلطان الأعلى في كل شيء . ولقد كرهوا فيما مضى أن تستعين مصر . في شخص عاملها غوردون . على ادارة بلادهم بمشرات من الاجانب وثارت نائرتهم لذلك . فبهتوا لما رأوا المئات من الانكليز يتولون كل ناحية من نواحي الادارة واختلط عليهم

الإصر وأسقط في أيديهم ولم يسعهم إلا الرضا بقضاء الله واتسهاز الفرصة
المناسبة للتخلص من ذلك الخطب الجديد .

ولقد عاموا بما فطروا عليه من ذكاء أن الانكليز لا يستطيع اجلاؤهم
عن السودان مالم يتخلص منهم مصر أولاً . ولكن مصر نامت
وطال نومها . فلما آن لها أن تستيقظ في سنة ١٩١٩ استيقظ السودان
على أثرها . فما قام سعد بمصر حتى قام على عبد اللطيف في السودان
وتريث في إشهار دعوته . ولو لم تعجل انكلترا بإرسال الوفد السوداني
الى لندن لتقديم فروض العبودية للدائرة الرنة لظل السودان ساكناً
معتمداً على أنه ومصر وحدة لا تقبل التجزئة وأن ماسيسرى على مصر
ميسرى عليه حتماً . ولكن تعجيل الانكليز بإرسال (وفد الولاء)
قوبل بالامتناع لدى جميع العقلاء . وعصفت بأفئدتهم رياح الشعور
والاحساس بما يراد ببلادهم فلم يروا بداً من مؤازرة على عبد اللطيف في
السر ولم يجرعوا على الجهر بأرائهم خشية التنكيل بهم . فبات القدر يغلي
ثم يغلي حتى أوشك أن ينفجر .

فلما أن شغلت مصر بذلك الخلاف العقيم والشقاق الطائش
أشفق السودانيون منه وحسبوا حساب الفشل فاعتصموا بالهدوء
والسكينة وباتوا ينتظرون ما تأتي به المقادير . حتى اذا ماجد الجدد في
عهد الوزارة الشعبية الأولى وطفق البرلمان يردد ذكر السودان عادوا
لاستئناف الجهاد السافر . وأقسم غير حاث . أنه لم يكن بين
السودان وبين الاسم استقلال التام إلا الزعامة الحازمة والعمل الحاسم .

شعر الانكليز بخطورة الحال . فقاموا من فورهم بعمل
عرائض مختلفة ضمنوها (إعراب السودانيين عن ولائهم لهم
وارتياحهم لوجودهم ورضائهم عن حكمهم واعتباطهم بعدتهم . وقمنهم
من المصريين الظالمين والاشادة بذكر مظالمهم المزعمومة وقطائع
الدقتردار وما إلى هذا من أفانين الكذب وضروب البين) .

وقام المستر ولس مدير مصلحة الخابرات بنفسه وعن ينق به كل
الثقة من رجاله للحصول على توقيعات زعماء القبائل وعمد العشائر
ونظار الأقسام على حدة وتوقيعات العامة وحدها .

أحفظ هذا العمل الجرى نفوس الشبان والمتوقفين
من الأهالي فقاموا بحركة مضادة وسعوا بدورهم للحصول على
توقيعات نفس الاشخاص الذين وقعوا لمدير الخابرات وعماله معلنين
(أنهم أكرهوا إكراهاها على التوقيع للمدير المذكور . وأن كل
ما جاء بتلك العرائض الزائفة باطل ولا ظل له من الحقيقة . وأنهم
لا يبتغون سوى البقاء إلى الأبد في حظيرة الوطن الاكبر وأن
مصر والسودان جزء لا يتجزأ) .

وشهد الله أنني وقفت على سر الموضوع من مبدأ الأمر
وعلمت بحركة الانكاز وهي وايدة وآمنت بوجوب القضاء عليها
ولما تبلغ أشدها . ويرجع الفضل في ذلك إلى صديق البطل
الوطني الفيور اليوزباشي (بكباشي الآن) محمد صالح جبريل .
فقد وقف على الحقيقة من الزعيم الباسل على عبد اللطيف وأسرها

إلى في الحال وزودني بما وقع في يديه من الوثائق .

فبادرت بمخاطبة أولى الأمر بمصر وأخطرتهم بكل التفاصيل وشفعت ذلك بعريضة من العرائض المطبوعة في مصلحة المخبرات وأظهرت تمام الاستعداد للقيام بحركة علنية مضادة حتى اذا ما قبض على وشرع في محاكمتي أعلنت على رؤوس الاشهاد أنني إنما أقابل عملهم بعمل مثله . والبادي أظلم . وقلت إنني مستعد للموت في هذا السبيل ، وكنت أوقن أن مثل هذا العمل الجدى من قبل المصريين من شأنه - على الأقل - أن يكشف سرهم ويفضح كيدهم ويفوت عليهم غرضهم . وأن مصر تستطيع بعد ذلك أن تلزمهم الحجة وتثبت عليهم الكيد والفساد .

ولكنني أمرت تلغرافياً بوجوب التريث وانتظار التعليمات . وكنت قد شرعت في مهنتي بالفعل . ولكن في السر . قبيل ذلك فاجتمع لى نحو الثلاثة آلاف توقيع في بضعة أيام . فاضطرت لايقاف كل شيء انتظاراً للتعليمات .

وجاءنى كتاب من الوسطاء بعد أسبوعين يقولون فيه (إن أولى الأمر لم يقرؤا رأيي ولم يوافقوا على عملي) .

فكانت النتيجة انعكاس الآية واتهام المصريين بتأليب السودانيين وفساد السائس للإدارة الانكليزية .

ومن دعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقف المصريون متفرجين . مع الأسف الشديد والألم للمض .
ولو وقف مصريو السودان مع اخوانهم وتعاونوا على العمل المجدى ،
كما ادعى الانكليز زورا وبهتانا ، لاستقل السودان ومصر فى سنة
١٩٢٤ . فقد طاشت سهام السياسة الانكليزية وذهلت لما رأته من
مظاهر الوطنية وأوشك زمام الأمر أن يفلت من يدها حتى أصبحت
تنقض فى يومها الحاضر ما أبرمته فى أمسها الدابر وبادرت باتخاذ أقسى
التدابير وأجرئها دون تفكير فى النتائج لفرط ماحاق بها من الفزع
والخيرة وبانت تخطيط خبط عشواء فى سبيل القبض على
ناصية الحال .

فلو أن مصر تشجعت قليلا لدت كيديها فى نحرها وخطت
خطوة حاسمة نحو الغاية التي تنشدتها ولكنها استكانت وجبنت فغلبت
على أمرها وكان الذى كان

وان أنت لم تعرف لنفسك حقها * هو انا بها كانت على الناس أهونا
فما كان يجب أبدا الرضا بأبعاد أورطة السكة الحديدية عن
السودان . بل كان من الضرورى ردها ورد كل ضابط وموظف قضى
(بطرده) لمجرد اتهامه بالاشتغال بالسياسة .

وكان واجبا قبل هذا وذاك ارسال النقود التي جمعت باسم
منكوبى السودان لاربابها . فالعود عن ارسالها كان من أم البواعث
لاخماد الحركة وفتور الهمم وخور العزائم .

وتحريير الخبر أن كل من كان يقبض عليه من السودانيين فيحاكم

وبحكم عليه بالسجن يتضور أبتاؤه جوعاً لاعتقال عائلهم . ومن ثم لا يرى
سواه معنى للجناية على أبنائه . والى هنا يقف البراع فما كل ما يعرف يقال
(ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى) .

على أنى أذكر للحقيقة والتاريخ أنى بعنت لولة الامور فى
ذلك الحين ملف قضية محكوم فيها على ثلاثة أشخاص بالسجن ثلاث
سنوات وحيثيات الحكم مبنى عليها على (جريمة) الهتاف لحضرة
صاحب الجلالة ملك مصر والسودان ، وقلت إن أحدهم ترك من ورائه
ذرية ضعافاً . لا أذكر عديدها . وكلهم يشكو مرارة الجوع وألم العرى
وهم فى حالة تستدر عطف الجواد ، بعد أن حرموا أربعة عشر جنياً كان
يتقاضاها عائلهم مرتباً شهرياً وذكرت أن أمثال هذا يساقون بالعشرات
الى السجون فى كل يوم دون أن يعرفوا مصير أسرهم . فلم يستمعوا الى
(ولو علم الله فيهم خيراً لا أسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .
ومرة أخرى (ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى) .

وتلقت يوماً من صديق سودانى صـورة تـلـغـراف بالشفرة
وتعريبه مرسل من قومندان قسم الخرطوم الى قومندان قسم كردفان .
حوالى منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ . يقول فيه مامعناه : —
يراد إبعاد البلوك البيادة الذى بالايض من الأورطة الثالثة المصرية
الى الخرطوم وحاول بلوك انكليزى محله . فاعمل الترتيب اللازم لذلك
(وعلى قومندان البلوك المذكور أن يفهم أن هناك اضطرابات وقعت

بالقاهرة ترتب عليها قيام الأورطة الرابعة العسكرية بالخرطوم الى مصر وحلول هذا البلوك محلها .

فأخطرت بهذا اليوزباشى (بكباشى بالعاش الآن) ابراهيم افندى تادرس الذى كان قائما بأعمال البلوك لغياب القومندان بأجازة قبل أن يخطره قومندان القسم باربع وعشرين ساعة وكان الرجل وطنيا وشهما وبعد التفاهم مع سوانا من صادق الوطنية ، عرضت جملة حلول ثورية ولكنها رفضت لتغلب الحكمة وأقرت الأغلبية وجوب ارسال استفسار برقى لقومندان الأورطة الثالثة بالخرطوم عقب ابلاغ الامر لرئيس البلوك من لدن قومندان القسم .

فلما أبلغ اليه الأمر فى اليوم التالى وبعث اليوزباشى يستفسر قومنداناه جاءه الرد بالطاعة الأوامر . وقامت الجنود المصرية واحتل ثكناتها بعد اسبوع واحد جيش انجليزى .

وبعثت بهذا وبغيره وغيره لدوى الشأن . ولكن بدون

نتيجة !!!

ومرة ثالثة (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) .

وأخيراً كان لزاما . فى اعتقادى . ويشاطرنى اخوانى السودانىون رأيى أن تموت بضع مئات الضباط والجنود وكل المصريين الذين كانوا بالسودان عند مقتل السردار قبل أن يصل اليهم الأمر الملكى الكريم . ولا يتركوا السودان لقمة سائغة للانكليز .

ولو أنى بقيت معهم . لفعلت . ولكنى (طردت) قبيل ذلك

بحجة أن وجودى خطر ولا ذنب لى إلا الاخلاص للواجب الوطنى .
وهكذا ترتب على سكوت مصر كل ما حدث بعد ذلك من المحن
والارزاء مما لا يزال ماثلا فى الأذهان وواضحا للعيان .
فقدنا الذى أثار السودانين أولا ونكل بهم أخيراً ؟؟؟ اللهم
فاشهد وأنت خير الشاهدين .



الخطبة

ليس أدل على حب السودانيين لمصر وتعلقهم بها من كون أهل كردفان مع امتيهارهم بالتدين ومع اعتقاد المستعمرين أنهم يحملون بين جنوبهم أشد البغضاء للمصريين . قد قبلوا عن طيب خاطر أن يمتنعوا عن صلاة الجمعة بمسجد الايض احتجاجا على حذف الدعاء للالة الملك من الخطبة .

فلأول مرة لوحظ فيها اغفال الاسم الكريم ظننت أن الامر غير مقصود فلما تأكدت أن هذا من صغار السياسة الانكليزية . عرضت فكرة هذا الاحتجاج على بعض الاخوان ، فقبل اقتراحي بالهزة والسخرية من جانب دعاة اليأس من المصريين ، وأجمعوا على أن لن أمتطيع أن أكتسب موافقة سودانيين اثنين على اقتراحي .

فلما كانت الجمعة التالية وانصرف أغلب المصلين قبل أن ينزل الخطيب من فوق منبره ولم يبق في الجامع على سمته إلا بضع عشرات ممن لم يتصل بهم الخبر ولم يفقهوا السر فيما حصل . اكبروا هذا الشعور الرائع . وذهبنا جميعاً فأقننا الصلاة في فضاء خارج البلدة .

ولا يزال الزئوج من رديف الاورط السودانية يعززون كل الاعتزاز بأنهم من جنود (أفندينا) ويعتبرون هذا مجداً لهم ونفراً لقبيلهم ولا يزال من يشتغل منهم في البوليس والخفر يستعمل الاصطلاحات العسكرية القديمة (التركية) الى يومنا هذا .

ويذكر العبيد لمصر فضل تحريرهم والقضاء على تجارة الرقيق بينهم ولا ينسى الشلوكة ما كان من أمرها معهم يوم استدعى اسماعيل أيوب باشا حكامدار السودان مليكهم كيكوم بك وسلمه ألف رأس من رقيق قومه ضبطتهم الحكومة مع الجلاية .

أما العرب فأبناء عمومتنا وخوئلتننا . وإذا كانت الأيام قد ضربت بضرباتها يلتنا حيناً من الدهر . فقد علموا ما لمصر عليهم من أباد وأن حكومتها السابقة على علاتها كانت بهم أرحم ولهم أصلح من حكومة الدناقلة والبقارة . وفهموا أن الانكليز إنما يستغلون بلادهم بكل طرق الاستغلال حتى تصبح أخصب مزرعة لمعامل يوركشير ولانكشير . وقد ذاقوا وبال فعلهم وخبروا حقيقة أمرهم . وما عهد انتزاع ملكية أراضي الجزيرة من أيدي ملاكها يبعيد .

وإن ينس حضرة صاحب الفضيلة الحبيب النسيب السيد على المرغني زعيم السودان غير منازع . لا ينس أن اعتزاز مصر بشيعة السادة المرغنية واجلالها لزعيم الأسرة الشريفة وتأيدها لطريقته القوية كان من أكبر أسباب الثورة المهدية التي خسرت فيها أحب مال وأعز بنين . ولن يعزب عن أذهان حضرات السيد عبد الرحمن المهدي والشريف يوسف المهندي والسيد اسماعيل الازهرى والاستاذ أبي ذقن والشريف حمد النيل والسير على التوم وأمثالهم من الزعماء والعقلاء والمفكرين أن مصر تعتبر السودان جزءاً متما لها وأنه ليس أحب اليها يوم يعود الى احضانها من أن تعامله معاملة الغريبة واسوان وأن فكرة

الاستعمار لم تنبت إلا في رموس الانكليز أملتها الاخقاد والسخائم وهول
الفرع من اليوم الأغر المنتظر .

بقى أن يفهم سواد المصريين أن اليوم الذي يتحقق فيه فصل
السودان عن مصر بالفعل إنما هو آخر يوم في حياة بلادهم ، وأن
انكلترا تسعى السعى كله للقبض على نواصينا بالماء . وأنها تسلب باليمين
ما تعطى باليسار فلن ترفع يدها عن مصر من الشمال إلا لتضعها
عليها من الجنوب .

وإذا كان فلاحونا يتقاتلون فيقتلون ويقتلون على مياه الري
وما يزال النيل نيلنا فإذا عظام أن يصنعوا يوم يسمى النيل انكليزيا ؟
أيها المواطنون .

لقد كنا أول من تفرد فأسر في أذن الزمان أن عهد
الذلة والمسكنة قد مضى واتقضى وأنه لن يعود . وآية ذلك أننا تحررنا
غداة الهدنة يوم سكن المحاربون ، وثرنا بعيد الحرب وقمنا هداً الناثرون .
فزلزلت الأهرام زلزالها ، وأفضى أبو الهول بكامة من سره الرهيب .
فأصغى له الدهر ، وأنصت العالم أجمع .

وكانت مصر أول من أثار على حصون الاستبداد فذك منها
معقلا ، وأسبق من فوق السهام الى قلب الاستعباد فأصاب منه
مقتلا وأصبحت ثورتها أضواء نور تلاً في سماء الحرية ، وأعلى صيحة
أهابت بالنوام أن « حي على القومية » ، وأرفع لواء سما ورفرف
على هام الوطنية .

وعنها تلقت سائر أمم الشرق دروس التضحية والجهاد ، فقضت بالأمل الزاهر على اليأس القاهر ، وما برحت تفتن في طرق الجلال ، وتشتد في سبيل العناد حتى سبقتنا بمراحل ، وأضحت الغاية المنشودة منها على قاب قوسين أو أدنى .

فيا أسفا على مصر ، ويارحمته لنا ، وواراه علينا . أيقظنا غيرنا ونمنا ، فصاح وسبكتنا ، وسار حيث وقفنا ، وجد وتعاقدنا ، واتحد وتفرقتنا . وما ذلك إلا لأن بأسنا بيننا شديد يحسبنا الناس جميعاً قلوبنا شتى .

دعوا الحزبية والتعزب من أجل السودان على الأقل (ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) . واتقوا الله في وطنكم ولا تتربصوا ببعضكم الدوائر فتدور الدوائر عليكم جميعاً ، وليوقن الكل أن مسألة السودان بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت .

وبعد . فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ، وأعمار الأمم بالحب والايام لا بالايام والاعوام . فالاتحاد الاتحاد ، والجهاد الجهاد ، والثبات الثبات ، والدعوة الدعوة الى مقاطعة كل فرد أو حزب تسول له نفسه أن يرضى بما دون الاستقلال التام لمصر والسودان .

اتتهى

ضما للأشياء — بابه والنظائر وجمعاً المتفرق من ضحايا مصر في
السودان نذيل على هذا الكتاب بمذكرة المغفور له المرحوم
محمد أبى الفتوح باشا التى وضعها وقدمها فى مفاوضات سنة ١٩٢١
لما فى هذه المذكرة من الحقائق التى لا ينفى أن تغيب عن
الباحثين ومحى الاطلاع على ما بذلته مصر فى هذا السبيل •
وهامى المذكرة المذكورة :-

مذكرة

عن السودان المصرى

لمحمد أبى الفتوح باشا عضو الوفد الرسمى الذى سافر الى لندن
للمفاوضات فى المسألة المصرية برئاسة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ م

القسم الاول

١ - لمحة تاريخية

لاجدال فى أهمية السودان لمصر . وما ذلك إلا لأن امتلاك
وادى النيل برمته هو لها بمثابة حياة أو موت . ولهذا لم يتردد قدماء
الفرعنة فى أمر فتحه . وأتى محمد على بثاقب فكره وبعد نظره فحذا
حذوم واهتدى بهديهم وجاهد فى فتحه من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٢٢ م
وضم اسماعيل باشا لمصر نواحي البحيرات الكبرى لغاية منابع
النيل وبحر الغزال وجهات خط الاستواء وساحل البحر الاحمر لغاية
رأس غردقوى ووضع الاوغندا تحت حماية مصر وتحصل من الباب
العالى على التنازل عن سواكن وزيلع وملحقتهما كما تحصل منه على
لقب خديو مصر وملك النوبة ودارفور وكردفان وسنار .
ونوه فرمان سنة ١٨٤١ م بذكر النوبة ودارفور وكردفان وملحقتهما

أى السودان لغاية منطقة البحيرات الكبرى . وأيد فرمان سنة ١٨٧٩
وفرمان سنة ١٨٩٢ م الفرمانات السالفة وصادقت الدول على هذه
الفرمانات جميعها على تباينها .

وعلى أثر الاضطرابات التى حدثت فى السودان بسبب تمرد المهديين
حتمت الحكومة البريطانية رأيها على مصر فى سنة ١٨٨٣ م بترك السودان
بقضه وقضيضه .

وكانت نتيجة هذا التحكم المشثوم ضياع حامية الخرطوم المؤلفة
من ٦٠٠٠ نفس وجميع المصريين المقيمين فى السودان والمراكب
ومجهودات ونجار ٦٥ عاما . كل هذا وغيره ذهب هباء .

احتجت وزارة شريف بلشا التى كانت قائمة فى ذلك العهد ولكن
احتجاجها ذهب صرخة فى واد ولم يقد شيئا واكرهت هذه الوزارة امام
التهديد أن تقدم استقالتها .

كيف تفسر هذا التغير المبين فى السياسة الانكليزية . أيقال
إن اخلاء السودان كان من مصلحة مصر ؟ كلا ثم كلا . وستوضح لنا
سياسة الاستعمار الانكليزية فى افريقية الأسباب الموجبة لذلك التطور .

٢ — سياسة الانكليز الاستعمارية فى افريقية

لقد كانت انكلترا دبرت لها من أمد بعيد خطة استعمار فى افريقية
وهذه الخطة ترمى الى انشاء امبراطورية واسعة الارزاء مترامية
الأطراف فى افريقية ، امبراطورية تتقدم من القاهرة الى رأس عشم الخير .

وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ م كتب المستر غلادستون في مجلة القرن التاسع عشر يقول :

« اذا توطدت أقدامنا في مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة في أفريقية الشمالية وتأخذ في النمو تدريجياً الى أن تدخل في تخومها منابع النيل الأبيض بل وتنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء لتتصل بمستعمرتي النبال ورأس العشم . وذلك بغض النظر عن الترנסفال ونهر الاورنج . وكذلك يكون الحال في الحبشة وزنجبار اللتين سنلتهمهما لدى مرورنا بهما » . اهـ

وتفصيلاً للخطة السالف ذكرها احتلت انكلترا مصر عام ١٨٨٢ م وحتمت اخلاء السودان سنة ١٨٨٣ م واستولت على الاوغندا ونواحى خط الاستواء والاو نيوروس سنة ١٨٩٠ م وواد لاى فى سنة ١٨٩٥ م .

ولتحقيق نفس هذا الغرض ووضع هذه النية فى طريق النفاذ عقدت الاتفاقيات الآتية :

- ١ - الاتفاقية الانكليزية الالمانية فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٦ م
 - ٢ - « » الايطالية « » يوليه « ١٨٩٠ م
 - ٣ - « » مع الكونغو « ١٢ مايو « ١٨٩٤ م
- والغرض من هذه الاتفاقيات الثلاث تحديد مناطق نفوذها فى نواحى أعالي النيل والسودان الشرقى .
- وعقب أن تم لانكلترا هذا الضم المتتالى وعقد هذه الاتفاقيات لم يبق لىها ما تخشاه من أى تدخل أجنبى فى الجانب الشمالى من أعالي النيل إذ أنها أضحت متركزة على مصر من جهة الشمال وعلى

إيطاليا وأوغندا من الشرق وعلى ولاية أوغندا والكونغو المستقلة وممتلكاتها من الغرب والجنوب . وبذا أحاطت بالسودان المصري من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم .

وآن الاوان للانكليز للاستيلاء على هذا البلد الذى كانت يد الثوار قد عبثت به طيلة خمسة عشر عاما ومزقته كل ممزق . وكان لابد لهم فوق ذلك من الاسراع فى العمل لأن فرنسا كانت تحاول الوصول الى أعالي النيل . وما وقع من الجدل بمجلس العموم فى جلسة ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م فيه ما يكشف الستار ويزيل القناع عن السر فى الاسراع . فلقد قال السير ايلياس اشמיד بارتلت بصدد الاشاعة التى أذيعت عن اعتزام فرنسا على ارسال بعثة الى أعالي النيل ما يأتى :

« من الضروري القيام بعمل سريع وبغير ذلك لانضمن البتة ألا يسبقنا الفرنسيون ويحتلوا قبلنا جهات أعالي وادى النيل » . اهـ

وصرح اللورد سالسبورى فى مجلس النواب فى ٨ فبراير بما يأتى :
« إن مصلحة مصر تقضى بالألا يدنس تخومها حادث من حوادث التعسف المجردة من كل نزاهة . بل هناك دواع أخرى تستلزم الزحف على الخرطوم . وهذه الدواعى الأخرى لاداعى لذكرها وهى تستدعى إيجاد قوة فى وادى النيل » . اهـ

وهذه الدواعى التى لاداعى لذكرها إن هى إلا استباق الفرنسيين فى احتلال أعالي النيل وطردهم منه اذا كانوا وضعوا أقدامهم على أراضيه .
وفوق ذلك كان غرض الانكليز من وضع الاتفاقية الانكليزية الإيطالية مواجهة الإيطاليين بمنليك ملك الحبش حتى لا يشتغلوا هم

بأمره الى أن تسمح لهم الظروف بتنظيم حملة السودان لأن منليك كان أرسل بمنشور للدول مؤرخ في ابريل سنة ١٨٩١ م اخبرهم فيه عن عزمه على فتح السودان . ولم يخطئ انكلترا فيما رأته وقدرته وجاءت الكارثة التي حلت بالطليان في (عدوه) فزادت في جزع الانكليز ومخاوفهم . ومما سبق ايضاحه يرى بجلاء أن اخلاء السودان لم يقرره الانكليز حقيقة مراعاة لمصلحة مصر التي تحملت خسائر جمة من جراء هذا الاخلاء وتضحيات هائلة في سبيل استرداده وفي الحالتين لم تقسم بشيء سوى خدمة الانكليز مضحية في ذلك نفس مصلحتها .

٣ — استرداد السودان

وفي ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ م أي بعد ١٢ يوما من كارثة الطليان في (عدوه) ورد للسيركتشنر سردار الجيش المصري في منتصف الليل أمر بتسيير حملة لاعادة فتح السودان . ولم يصل خبر قرار الوزارة الانكليزية لرئيس وزراء مصر إلا بعد ظهر يوم ١٣ وللخديو إلا في مساء ذلك اليوم .

واستمرت الحرب سجالاتا مدة عامين وفي ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م دخل السيركتشنر أم درمان عاصمة السودان يحقق على رأسه علم النصر . وتحملت مصر وحدها تهريبا كل اعباء هذه الحرب . فكان الجيش مؤلفا كله على وجه التقريب من عساكر مصرية . ووضع على عاتق مالية مصر تهريبا كافة مصاريف الحرب . ومن ذلك الوقت لم تكف مصر عن

أن تقدم للسودان القروض التي كانت تلزم لرواج منتجاته ومحاصيله .
ولدت شبكة من السكك الحديدية يبلغ طولها ٢٤٠٠ كيلو متر . وانشاء عدد
كبير من الطرق والمواصلات النيلية . ولعمل مجموعة متقنة للرى في بعض
الجهات . ولقد مر على الجيش المصرى خمسة وعشرون عاما طوالا وهو
بأسره تقريبا في السودان يشغل في تهديته وتوطيد دعائم الأمن في
ربوعه وانشاء كافة الأشغال العمومية التي من أجلها بورسودان الذي
تأسس بحال مصر وعاد عليها منه اضرار فادحة وذلك بسبب تحويل
البضائع اليه بعد أن كانت تمر قبلا عن طريق مصر .

ويستطيع الانسان أن يحكم عندما يتأمل بتأقب فكره في سرعة
انتهاء هذه الحرب وفيما أبداه المهديون من ضعف المقاومة عنها وهل
كان حقاً هنالك أمام مصر ذلك الشبح المخيف الذي اتفق أساطين السياسة
على أن يسموه في عرفهم الخطر المهدوى ؟ وهل قرار اخلاء السودان
اتخذ صدقاً في مصلحة مصر دون سواها ؟

وأما كان عوضاً عن إخلاء السودان تركت مصر تتخذ علاجاً
ناجماً لاجتداد الثورة كما كانت تريد وزارة شريف باشا فقد كان ذلك في
حيز استطاعتها إذ كان في قدرتها أن تحشد في سنة ١٨٨٣ م جيشاً عدده
يضارع على أقل تقدير عدد الجيش الذي جمع سنة ١٨٩٦ م إن لم يفقه ويزيد
عنه . لو كانت تركت وفعلت ذلك لأتخذت حاميتها ورجالها واحتفظت
علاوة على ذلك بحرماتها ونفوذها الأدبي وما كان وجد لاتفاقية ١٩ يناير
سنة ١٨٩٩ م لا اسم ولا رسم .

وانتقل الآن لفحص هذه الاتفاقية :

٤ — اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ م

هذه الاتفاقية فريدة في باب الاتفاقيات إذ لم يسبق في عالم الاتفاقيات عقد اتفاقية نظيرها في القانون الدولي . ومن يرد أن يحاول تكيف نوعها تكييفاً شرعياً يتحير وتذهب محاولته أدراج الرياح . غير أن الذي يستطيع تحقيقه منها هو أن الحقوق التي منحت لانكترا في هذه الاتفاقية لا تتركز على أي مسوغ شرعي .

فليس على ارسال بضع اورط من الجنود لايجاوز عددهم ألفي جندي وصرف مبلغ زهيد من المال يستطيع تقرير حقوق لانكترا في السودان . فمصر لم تطلب من هذه الدولة أن تعدها بالمعونة البتة وما أدته من الخدمة كان بمحض إرادتها واختيارها وبدون أن تدعى لذلك وبدون عقد مشروط فيه مقدار ما تأخذه مقابل خدمتها .

واذا كانت المعونة من شأنها أن تقرر حقاً ما فينبغي أن يكون لمصر هذا الحق في سورية وفلسطين . وذلك لأن الفضل في تيسير فتحها يرجع الى رجالها وسككها الحديدية وموانئها وتزويدها بالجيش الانكليزي بالزاد والساء ومختلف الادوات والآلات . وصرفت مصر ما يربو على ٤ ملايين من الجنيهات علاوة على الفرق في أعان كل ما طلبه الجيش الانكليزي وفرق من صنف القطن وحده يعد بالملايين وذلك بصرف النظر عن ثمن الحبوب على انواعها والمواشي ذلك الثمن الذي تقص الثلث في مدة الحرب .

ولقد صرح المارشال ألني بالمساعدة القيمة التي أسستها مصر في
عضون حرب فلسطين وسورية . وجاء في تقرير اللورد ملتر ما يأتي :-
« إنه لمن العدل الجهر بالخدم التي أبداها قسم الاشغال المصرى .
تلك الخدم التي قيمتها لا يقدر لها ثمن والتي كان لابد منها في حرب
فلسطين » . اهـ

ولقد كانت انكلترا مدينة لمصر ديناً أدياً مزدوجاً يدعوها
لمساعدتها في استرجاع السودان . ألم تكن هي التي أوعزت باخلائه ؟ ألم
تكن هي التي منحت نفسها لقب وصية عليها ؟ لقد قال السير ادوارد غراى
وكيل وزارة خارجية انكلترا في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م أمام مجلس النواب :
« إن لانكلترا مركزاً خصوصياً بالنسبة للدفاع عن مصالح مصر
ألا وهو موقف الوصى . ومطالب مصر في استرداد السودان لم نسلم بها
نحن وحدنا فحسب بل سلمت بها أيضاً فرنسا وأيدته جهاراً على رؤوس
الاشهاد » . اهـ

أليست انكلترا هي التي لاجل تنفيذ خطتها الاستعمارية
في أفريقية والحيلولة دون قيام فرنسا بسد الطريق ، ساعدت مصر
لكي تكون آمنة من انجحاح مشروعاتها ؟

ومن جهة أخرى فالذى يبدو لنا أن انكلترا ما أرادت أبداً وان
تريد مطلقاً أن تنازع مصر في مسألة سيادتها على السودان . وأن من
الواجب أن تظل هذه السيادة تامة لها وحدها دون منازع . أما إذا أريد
عكس ذلك فكان يلزم إيجاد نص خاص ينوه فيه بذلك وهذا النص
لا وجود له . بل يوجد بالعكس تصريحات رسمية كثيرة تقيد دوام

هذه السيادة واستمرارها .

أما مسألة عدم إخماد ثورة شبت في ولاية من ولايات احدى الامم وترك هذه الولاية وقتاً ما فهذا العمل لا يفيد في حد ذاته التنازل عن السيادة على تلك الولاية .

إن مصر من منذ عهد فتوح الفراعنة لم تتخل يوماً ما عن السودان بطريقة نهائية . واذا كانت في بعض الاحيان تشاغلته عنه فتشاغلها هذا لم يكن إلا اضطرارياً اقتضته ظروف الاحوال ومع ذلك لم تملكه دولة في أى وقت من الاوقات . بل ظلت حقوقها في السودان مصرحاً ومعترفاً بها في السر والعلن وفي كل الظروف من كبار رجال السياسة سواء منهم الانكليز والفرنسيون والمصريون والايطاليون وغيرهم .

وبدون أن ندخل في تفاصيل اتفاقية سنة ١٨٩٩م من الوجهة الشرعية الامر المعلوم لكل إنسان يمكننا أن نؤكد أن هذه الاتفاقية لا عس من أية ناحية كانت سيادة مصر على السودان .

وهذه الحقيقة ستظهر جلية واضحة عندما نضع أمام أعيننا مختلف التصريحات التي فاه بها رجال السياسة سواء منهم المصريون والانكليز ونحلل نفس نص تلك الاتفاقية ونعدد القرارات التي تخول مصر حق السيادة ابتداء من سنة ١٨٨٤ م :

١ - تصريحات رجال السياسة الانكليز :

١ - عبر اللورد غرانفيل في التعليقات التي أصدرها في ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ الى غوردون عن رأيه بالكيفية الآتية :
ينبغي فحص أحسن الوسائل التي يلزم اتخاذها لاخلاء داخلية السودان

وتوطيد دعائم الامن وإدارة المصالح والموائى القائمة على السواحل وذلك تحت سيادة الحكومة المصرية وإفادتنا بما ترونها « . اه
٢ - والبند الثانى من الاتفاقية الانكليزية الايطالية المعقودة فى سنة ١٨٩١ م نصه كالآتى :

« للحكومة الايطالية الحق فى احتلال كسلا وما جاورها من البلاد لغاية العطسبة وذلك فيما لو اضطرها مركزها الحربى لهذا الاحتلال . ومن المتفق عليه بين الدولتين المتعاقدين أن كل احتلال حربى وقى للأرض الاضافية الميينة فى هذا البند لا يفسخ حقوق الحكومة المصرية فى الأرض المذكورة . وهذه الحقوق تظل فقط موقوفة الى أن يصير فى استطاعة الحكومة المصرية احتلال المركز السالف ذكره « اه
٣ - وقال اللورد سالسبورى لسفير فرنسا فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٦ م :

« إني متمسك على وجه العموم بهذا الرأى ذلك أن وادى النيل كان وما زال ولن يزال ملكا لمصر وإن كل مانع أو انتقاص ألم بحقوق هذه الملكية من جراء فتح المهدي واحتلاله قد زال وتلاشى بحكم انتصار الجيش الانكليزى المصرى فى أم درمان « . اه
وخطب اللورد روسبرى فى مدينة ابسون بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م فقال ^(١) :

« لكي تقرر حقوق مصر على فاشودة بطريقة

(١) - راجع عددي التيمس المؤرخين ١٣ و ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

حاسمة قد كفانا أن نذكر الحكومة الفرنسية بأقوالها في السنين الأخيرة وذلك باستعارة أقوال السيود كرية وكوريسل وهانوتو وهي : « نحن على وشك أن نرد لمصر ما هو من أرضها وذلك حسب التصريحات التي فاهت بها كل الحكومات الفرنسية » . وهذا أمر جلي واضح حتى أنه ليسق على أن أصدق أنه في الامكان العثور على أي شيء ينافية » . اه
وأبدى السيوغراي مثل هذا الرأي في خطبة القاها في مدينة يورك في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م ^(١) بقوله :

« ليس على فرنسا إلا أن تلاحظ أن مسألة فاشودة مسألة متعلقة بالمبادئ والحقائق . فإذا كانت تريد أن تخرج من هذا المأزق فاعلها إلا أن ترجع الى المبادئ التي بينها للسيود هانوتو وتعمل بمقتضاها وبذلك ينحل الاشكال بسهولة » . اه

وخطب اللورد كبرلي في الوليمة التي أقيمت تكريماً لكتشنر في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م فقال ^(٢) :

« إن اخلاء فاشودة ليس فيه ما يحبط من قدر فرنسا مادامت الحكومة الفرنسية هي نفسها صرحت أن الارض المتنازع عليها ملك مصر . فينبغي لفرنسا ان تصون سمعتها بالألا تعمل تقيض ما صرحت به هي نفسها » . اه

وبين اللورد سالسبوري في كتاب أزرق نشره سنة ١٨٩٨ م بجلاء ووضوح نظرية الانكليز في مسألة فاشودة فقال :

(١) — راجع عدد التيمس المؤرخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

(٢) — « » » » ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م .

« أنها من ممتلكات مصر بلا نزاع »^(١) اهـ .
وكتب اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠١ م ما يأتي :
« ليس الغرض من عقد اتفاقية سنة ١٨٩٨ م حرمان مصر من حقوقها
في السودان بل تزويده بحكومة صالحة والتخلص من العقبات التي
تلقبها في طريقه مسألة الامتيازات »^(٢) اهـ .
وكتب اللورد كبرلي في ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ م الى اللورد دوفرن :
« اذا كانت مصر تسترد السودان الذي كانت تحتله في المدة السالفة
فمن الواجب علينا أن نعترف بحقها في امتلاكه » اهـ .

واعترف اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠١ م بمشروعية
الملحوظات التي أبدتها مجلس الشورى عند الاقتراح على الميزانية الخاصة
بالسودان . وهذه الملحوظات هي التي قرر فيها ذلك المجلس أن السودان
جزء متمم لمصر .

(ب) - تصريحات الجانب المصري .

في أواخر عام ١٨٨٣ م عند ما أكرهت وزارة شريف باشا على
الاستقالة دونت أسباب استقالتها في خطاب أذيع على الجمهور واليك
ما جاء به :

« ان الحكومة البريطانية تحتم علينا اخلاء السودان مع أن
قبول هذا الاخلاء ليس من حقنا لأن هذا البلد هو من ممتلكات الباب

(١) — راجع الكتاب الأزرق المؤرخ ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

(٢) — راجع تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠١ م ص ٤

العالى وقد سلمنا حراسته . تقول حكومة الملكة إنه من واجبات مصر
الاذعان لمشوراتها بدون مناقشة . وهذا تعد صارخ على فرمان ٢٣
اغسطس سنة ١٨٧٨ م القاضي بأن الخديو يحكم مع وزرائه وبواسطتهم .
وقد استقلنا لأنه حجب علينا أن ندير الاحكام بمقتضى هذا الدستور . اه
وفي ٢٧ يناير سنة ١٨٨٤ م أكره الخديو على قبول مأمورية غوردون
ومع ذلك فلا يوجد في التعليمات التي أصدرتها الحكومة المصرية أو
الانكليزية لهذا الجنرال ما يدل على أن هذا الاخلاء كان بائنا . بل الجواب
الذي تلقاه الجنرال المذكور من الخديو في التاريخ السالف ذكره يفيد
عكس ذلك إذ يوصيه فيه بأن يساعد على أن يؤسس في السودان
حكومة ثابتة . وهذا أمر يدل على اهتمامه بشؤون السودان كما يدل في
الوقت نفسه على أنه عمل من أعمال التدخل والسيادة .

وفي سنة ١٨٨٤ م أرسل توفيق باشا نداء الى أهالي السودان يقول
فيه إنه لاهتمامه بشؤونهم فوض اليهم أمر اختيار حكومتهم . وهذا
بلا جدال عمل من أعمال السيادة .

وأرسل رياض باشا الى السير افلن بتاريخ ٩ ديسمبر سنة
١٨٨٨ م مذكرة يقول فيها :

« لا ينزع أى انسان في أن النيل هو حياة مصر وهذا أمر واضح
جلي لا يختلف فيه اثنان . إذن النيل هو السودان ولا يرتاب أحد في
أن العلائق التي تربطهما لا انفكاك لها وهي أشبه شئ بعلاقة الروح
بالجسد . فإذا استولت دولة ما على ضفاف النيل فعلى مصر العفاء . ويعلم من
ذلك أن حكومة سمو الخديو لا يمكن أن تقبل بمحض رضاها واختيارها

ويدون أن تكره على ذلك تمهداً كهذا على وجودها وحياتها^(١) . اهـ
وأدمج اللورد سالسبوري في الكتاب الأزرق الذي أذاعه سنة
١٨٩٨ م^(٢) بصدد قاشودة خطاباً من بطرس باشا قالى يقول فيه :
« تعلمون نغامتكم أنه لم يغيب البتة عن أنظار حكومة الخديو
مسألة استرداد مديريات السودان التي هي عبارة عن ينبوع حياة مصر
والتي لم تنجل عنها إلا على أثر طروء ظروف قوة القاهرة . وقد تضيق
الفائدة من إعادة فتح الخرطوم إذا لم تسترد وادى النيل الذي ضمت مصر
في سبيله الشيء الكثير من الاموال والارواح . ولما كانت الحكومة
المصرية تعلم أن هنالك مقاضات دائمة الآن بين بريطانيا العظمى
وفرنسا بصدد قاشودة فقد كلفتني أن أرجو نغامتكم أن تمدونا بحسن
معونتكم لدى اللورد سالسبوري ابتغاء الاعتراف بحقوق مصر
الثابتة ورد جميع المديريات التي كانت تحتلها لغاية قيام ثورة محمد احمد . اهـ
وكان مجلس الشورى في مرات كثيرة عندما يستدعى الى ابداء رأيه
في القروض التي تقدم للسودان لا يالو أن يكرر : « نحن نصادق على هذه
القروض لأن السودان جزء متمم لمصر^(٣) » .

واتفاقية سنة ١٨٩٨ م لا ترمى إلا الى الوجهة الادارية ولا تحس من
أية ناحية كانت مسألة السيادة . وهذا هو دون سواء المفهوم من منطوقها
واليك ايضاح ذلك . جاء في الاتفاقية :

(١) — راجع الجريدة الرسمية عام ١٨٩٤ م ملحق عدد ٦٥٣ ص ٨٥٥
(٢) — راجع الكتاب الأزرق المؤرخ في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨ م
(٣) — راجع محاضر هذا المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠١ و ١٩٠٩ م

« وحيث أصبح من الضروري تنظيم طرق الادارة وسن لوائح وقوانين للمديريات التي استردت الخ » .

وهذا المفهوم من منطوقها أيده الفقرة التالية من الاتفاقية وهي :
« حيث انه لاسباب كثيرة يمكن حكم وادى حلقا وسواكن مع المديريات التي استردت بطريقة انجح نظراً لمجاورة لارضى السودان الخ » .

فليس حق الافتتاح ولا غيره هو الذى حدا بالحكومة المصرية لان تدمج حلقا وسواكن فى ادارة السودان بل مركزهما الجغرافى فقط هو الذى حدا بها لأن تؤثر ضمهما الى حكومة السودان . وهذه مسألة شكلية صرفة .

ومن سنة ١٨٨٤ لغاية سنة ١٨٩٦ م لم تكف مصر عن أن تدرج فى ميزانيتها حسابا خصوصيا للسودان . ومذكور باحصائيات الحكومة المبالغ السنوية التى دفعتها طول هذه المدة وقيمتها بلغت وإذ لم يترك السودان بتاتا .

ومن عام ١٨٩٦ م الى يومنا هذا ماقتت مصر تسدد عجز ميزانية السودان وتقدم له القروض اللازمة لاصلاحه وتعون فيه بمجموع جيشها تقريبا ابتغاء حفظ الأمن واتحاد الثورات التى كان يتدلع لسان لهيها فيه من وقت لآخر والقيام باشغال كثيرة للمنافع العمومية .

وكلفت الحكومة هذه القروض المتعددة ومصاريف تمويل هذا الجيش زيادة بلغت وذلك حسب المدون فى القسم الثانى من هذه المذكرة الخاص بالحسابات .

واقعد بذلت مصر هذه التضحيات الهائلة رغما عما عليها من الديون التي تنن تحت أعبائها ورغما عما لديها من الاحتياج الملح لانجاز مشروعات هامة للمنافع العمومية . وبالأخص اشغال الري إذ كان من المستطاع اصلاح مليونين من الافدنة بدون احتياج لصرف نصف هذه القيمة . وإذا كان لا تكافئ من الحقوق في السودان مثل ما لمصر فما كان هنالك شيء يقعدها عن أن تدفع سنويا نصف ما تدفعه مصر . فليس في استطاعة انسان أن يدرك شركة تكون الفائدة فيها لشريك والخسائر على الشريك الآخر .

وهناك اعتبارات أخرى من الوجهة الاقتصادية تربط السودان بمصر :-

إن أراضي السودان مازالت الآن بكرا عذراء وتجارها لا بد لها في المستقبل من الاتساع ومنتوجاتها لا بد لها من الازدياد في القريب العاجل نظراً لاتساع أرضها وخصوبتها . ومع أن السـودان لديه بور سودان لتصريف بضائعه . فهذا الثغر وحده لا يكفي لتصريف بضاعة البلد عندما تزداد بعض الزيادة . وتتمس الحاجة لمرور جانب كبير من بضائع السودان عن طريق مصر وبالأخص يوم تشتد في المستقبل وطأة مزاحمة التجارة في هذا البلد وتفضل من الطرق أقصرها وأسرعها .

يبادل السودان الآن اكبر جانب من تجارتها مع مصر وسوف يبادلها معها دواما لأن هذين البلدين لاغنى لأحدهما عن الآخر .

اصطلحت الأمم المتقدمة على مشروعية استثمار البلاد التي تسكنها الاقوام الرحل المتوحشة أو الاقوام المتأخرة كثيرا في المدنية بحيث

مدنيتهم لا تسفح لهم أن يستغلوا من ارضهم ما يرتقب منها من الانتاج لأن الأمم المتقدمة ترى أن الارض ملك مشاع للانسانية وبناء على هذا المبدأ يحق للأمم المزدهرة بلادها بالسكان أن يرحلوا جانباً من الاهالى الى الاراضى غير الآهلة كثيراً بالسكان . ومصر من البلاد التى تعج الآن بكثرة عدد سكانها الآخذ في الزيادة باضطراد على توالى الايام بحيث أخذت الارض تعجز عن أن تفي بحاجات ساكنيها وبعد سرور بضع سنوات ستكون مسألة اسكان مايزيد من السكان عن طاقتها من المشاكل الاجتماعية المعقدة التى تواجه الجيل القادم ويتكاف هو حلها .

وليس هنالك بلد أكثر صلاحاً لاسكان مايفيض من الاهالى عن طاقة مصر غير السودان لأنه متاخم لها ولأنه بلد زراعى بمعنى الكلمة وتربطه بمصر روابط شتى .

ومن المبادئ العامة التى أقرتها السياسة الدولية ووضعتها نصب أعينها بعد الحرب الكبرى مبدأ الجنسية وهو عبارة عن تكوين وحدات سياسية وحشد طوائف اجتماعية من عنصر واحد . وهذا المبدأ ينطبق على مصر والسودان لأن غالبية سكانهما من عنصر عربى الاصل ومتحد فى اللغة والدين وعوائد السودانيين أكثر مشاكلة لعوائد المصريين أكثر من أية أمة أخرى .

ونخطر ببالنا أننا أوضحنا حقوق مصر فى السودان بطريقة لا يمارى فيها ممار . ولنتقل الآن الى حسابات هذا البلد مع مصر .

القسم الثاني

المبالغ التي أنفقتها مصر على السودان

المبالغ التي أنفقتها مصر على السودان تنقسم الى ثلاثة أقسام:—

(١) — القروض التي أخذت من الميزانية المصرية المعتادة .

(٢) — القروض التي أخذت من الاحتياطي .

(٣) — نفقات الجيش المصرى بالسودان .

وقد أضفنا إلى هذه المبالغ جميعها أرباحاً سنوية بواقع ٣ ٪ .
حسب التصريح الذى تقيدت به وزارة المالية المصرية أمام مجلس
شورى القوانين بناء على الرضبة التى أبدأها هذا المجلس فى ١٨ ديسمبر
سنة ١٩٠٩ م مشيراً فيها بإضافة أرباح إلى جميع المبالغ المعطاة
للسودان مساوية للأرباح التى تدفعها مصر لمدائنها .

وماك يان هذه المبالغ :—

(١)

بيان القروض التي أخذت من الميزانية المصرية المعتادة

| السنوات | القروض | القائمة ٣ / |
|------------------|----------|-------------|
| ١٨٩٩ م | ١٤٠٠٠٠٠ | ٤٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٠ م | ١٣٤٠٠٠٠ | ٨٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠١ م | ١٩٤٠٠٠٠ | ١٤٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٢ م | ٢٦٧٠٠٠٠ | ٢٢٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٣ م | ١٩٦٠٠٠٠ | ٢٩٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٤ م | ١٩٣٠٠٠٠ | ٣٦٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٥ م | ١٩٣٠٠٠٠ | ٤٣٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٦ م | ٢٥٣٠٠٠٠ | ٥١٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٧ م | ٢٥٣٠٠٠٠ | ٦١٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٨ م | ٢٥٣٠٠٠٠ | ٧٠٠٠٠٠٠ |
| ١٩٠٩ م | ٢٠٨٠٠٠٠ | ٧٨٠٠٠٠٠ |
| ١٩١٠ م | ١٩٨٠٠٠٠ | ٨٢٠٠٠٠٠ |
| ١٩١١ م | ١٨٨٠٠٠٠ | ٩٥٠٠٠٠٠ |
| ١٩١٢ م | ١٦٣٠٠٠٠ | ١٠٣٠٠٠٠٠ |
| من ١٩١٢ الى ١٩٢١ | ٠٠٠٠٠٠٠ | ١٠٧٠٠٠٠٠ |
| | ٢٨٣٠٠٠٠٠ | ١٧٨٠٠٠٠٠ |
| المجموع الكلى | | ٤٦١٠٠٠٠٠ |

(٢)

بيان القروض التي أخذت من الاحتياطي

| السنوات | القروض | الفائدة % |
|---------------|-----------|-----------------------|
| ١٨٩٦ م | ٦٤٠,٣٠٥ | جلبه مصرى |
| ١٨٩٧ م | ٦٥٤,٨٢٨ | ١٩,٢٠٩ |
| ١٨٩٨ م | ٥٥٠,٣٧٨ | ٣٩,٤٣٠ |
| ١٨٩٩ م | ٥٦٤,٧٤٥ | ٥٧,١٢٤ |
| ١٩٠٠—١٩٠١ م | ٢٠٨,٥٧١ | ٧٣,٩٨٠ |
| ١٩٠٢ م | ١٥٥,٤١٧ | ٨٢,٤٥٧ |
| ١٩٠٣ م | ١٤٦,٥٤٤ | ٨٩,٥٩٣ |
| ١٩٠٤ م | ٦٣,٠٣٩٢ | ٩٣,٦٧٧ |
| ١٩٠٥ م | ٧٠,٤,٤٥٥ | ١١٥,٣٩٩ |
| ١٩٠٦ م | ٦٧٢,٢٤٢ | ١٣٩,٩٩٥ |
| ١٩٠٧ م | ٩٠١,٥٩٨ | ١٦٤,٣٦٢ |
| ١٩٠٨ م | ٦٦٥,٦٠٧ | ١٩٦,٣٤٢ |
| ١٩٠٩ م | ٦٤٥,٢٠٠ | ٢٢٢,١٩٩ |
| ١٩١٠ م | ٥١٨,٨٦٦ | ٢٤٨,٢٢١ |
| ١٩١١ م | ١٣٢,٥١٠ | ٢٨٠,٢٣٤ |
| ١٩١٢ م | ٤٥,٧٢٨ | ٢٩٢,٢١٦ |
| ١٩١٣ م | ٤٣,٨٥٦ | ٣٠٢,٧٦٦ |
| ١٩١٤ م | ٤٩,٨٩ | ٣١٤,١٦٥ |
| ١٩١٤—١٩٢١ م | ٠٠٠,٠٠٠ | ٢٣٤,٩٠٧٨ } ٠٠٠,٠٠٠ |
| المجموع الكلى | ٧,٨٨٦,٢٣١ | ٥٠,٨١,٢٤٦ |
| | | ١٢,٩٦٧,٥٧٧ |

(٣)

بيان نفقات الجيش

في حساب هذا البيان راعينا المبالغ التي كانت تنفق على الجيش المصرى قبل فتح السودان وقبل الاستعدادات التي عملت لهذا الفتح فلم نحسبها . وأضفنا على السودان فقط الفرق بين مصروفات الجيش حال وجوده بالسودان ومصروفاته قبل الفتح حال وجود أكبر قوة عسكرية منه .

وللوصول الى هذه الغاية أخذنا متوسط ميزانية الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ م . فوجدنا هذا المتوسط ٣٨٣ ر ٣٣٠ جنيه مصرى . فحذفنا هذا المبلغ من الميزانية السنوية للجيش المصرى من سنة ١٨٩٩م سنة المعاهدة الى سنة ١٩٢١م وأضفنا على السودان الباقي بعد خصم هذا المتوسط .

وتعمدنا عدم ذكر نفقات الجيش من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩م لأن هذه النفقات عملت لفتح السودان ولا يجوز اضافتها الى هذه المبالغ .

ودعنا عن أن الجيش كان بأجمعه في السودان فان المصروفات التي أضيفت على السودان هي أقل من ثلث مجموع مصروفات الجيش المصرى . ولو جربنا على تقسيم مصروفات الجيش المصرى بين مصر والسودان بقياس عدد العساكر التي في كل منهما لكان على السودان أن يتحمل كل ميزانية الجيش تقريباً .

وها هو بيان نفقات الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢م الذي جعلناه أساساً لإستخراج المتوسط : —

| السنوات | النفقات |
|---------|-------------------|
| ١٨٨٣ م | ٢٤٦٠٩١٤ جنيه مصرى |
| ١٨٨٤ م | ٢٧١٠٢٧٩ |
| ١٨٨٥ م | ١٢٩٠٣١٠ |
| ١٨٨٦ م | ١٤٠٠٩٣٦ |
| ١٨٨٧ م | ٢٠٦٠٠٦٣ |
| ١٨٨٨ م | ٣٨٦٠١٣٨ |
| ١٨٨٩ م | ٤٩٤٠٥٥١ |
| ١٨٩٠ م | ٤٦٠٠٩٧٧ |
| ١٨٩١ م | ٤٩٤٠٣٠٠ |
| ١٨٩٢ م | ٤٧٣٠٣٥٦ |
| المجموع | ٣٢٣٠٣٨٢٣ |

